الهداية

الجزء الثالث

الهداية

﴿وهو ردٌّ على الكتاب المسمَّى إظهار الحق﴾

وعلى

﴿الكتاب المسمَّى السيف الحميدي الصقيل﴾

﴿الجزء الثالث﴾

WATER AND LIFE ● VIRGINIA ● UNITED STATES

تحتوي على 120 صفحة من 240

اسم الكتاب: سلسلة الهداية

الجزء الثالث

الناشر: ماء وحياة

اسم المؤلف: الشيخ ميخائيل عبد السيّد

الطبعة الأولى القاهرة سنة ١٩٠٠م

طُبعت بمعرفة الدكتور صموئيل زويمر مدير الإرسالية الأميركانية بمصر،

وتحت إشراف سكرتيره القس عبد النور ميخائيل

والد الدكتور القس منيس عبد النور

© جميع الحقوق لهذه الطبعة محفوظة

٢٠٢٤

Cover: King David Street, Jerusalem by Gustav Bauernfeind (1848 - 1904)

Book Name: Al-Hidayat. Part Three

The True Guidance, Part Three

1st Printing 1900 in Cairo. Egypt

New Edition: 2024

https://www.waterandlife.net

Email: thegoodway2015@gmail.com

© All rights reserved

عينة 120 صفحة من 340

WATER AND LIFE • VIRGINIA • UNITED STATES

محتويات الجزء الثالث

الفهرس ٣
كتاب الهداية ١٢
الباب الأول ١٣
الفصل الأول: في بيان الوحي الصادق والوحي الكاذب ١٣
الكتب المقدَّسة موحى بها من الله ١٣
حالة وحي محمد ١٥
الوحي في ثوب امرأة ١٦
الفرق بين محمد وغيره من الأنبياء الصادقين ١٧
الشيطان قرين محمد ١٧
عدم تأكد محمد من الخيالات التي كان يتوهَّمها (وحيه) ١٩
شروع محمد في الانتحار ٢٠
نتيجة ما تقدَّم ٢١
الوحي الصادق ٢٢
الفصل الثاني: في البراهين التي تُؤخذ من ذات القرآن على أنَّه ليس بوحي. ٢٣
تأليف القرآن مقطَّعًا ٢٣
معنى الروح ٢٤
مقارنة بين الكتب المقدَّسة وبين القرآن ٢٦
أسباب أقوال القرآن ٢٧
قالوا: آمنا ٢٨
بعوضة فما فوقها: ٢٩
الصابئون: ٢٩
اليهود: ٣٠
تمنِّي الموت: ٣١
جبريل: ٣١

يتبقى 120 صفحة من 340

الفصل الثالث: في باقي البراهين الداخلية من القرآن على أنَّه ليس بوحي.. ٣٣
قول اليهود راعنا:..... ٣٣
النَّسخ:..... ٣٤
عجز محمد عن المعجزات: ٣٥
محاولة اليهود ردّ المسلمين: ٣٦
النصارى واليهود: ٣٦
تغيير القِبلة: ٣٧
مقام إبراهيم:..... ٤٠
طلب أهل الكتاب:..... ٤٠
الفصل الرابع: في البراهين الداخلية من ذات القرآن على أنَّه ليس بوحيٍ .. ٤٢
الصفا والمروة: ٤٢
الرَّفَث إلى النساء:..... ٤٣
الحج والعمرة:..... ٤٤
الحج:..... ٤٥
الاتِّجار في المواسم: ٤٥
الإفاضة:..... ٤٥
ذكر الله:..... ٤٦
الغدر:..... ٤٧
الشهوة الحيوانية..... ٤٩
طهارة وصايا الله ٥١
كيفية إرجاع المطلّقة: ٥١
مداراة محمد لقومه: ٥٢
أخذ محمد أقوال النساء: ٥٣
مذهب التناسخ:..... ٥٤
الفصل الخامس: في البيِّنات الداخلية على أنَّ القرآن ليس بوحي إلٰهي مطلقاً٥٦
طلب معجزات: ٥٦
عجز محمد عن عمل معجزات:..... ٥٦
أشراف قريش ومحمد: ٥٨

عينة 120 صفحة من 340

جبريل والكلاب: ٦٠
انقطاع الوحي بسبب جرو ٦٢
عائشة سبب التيمم ٦٢
كاتب محمد: ٦٣
التكفير عن الخطية: ٦٥
سرقة محمد أقوال أهل الكتاب: ٦٥
وقوع محمد في الشرك: ٦٧
الفصل السادس: تتمة البراهين الداخلية على أن القرآن ليس بوحي ٦٨
علام يحسدون محمدًا؟ ٦٨
أخذ محمد امرأة زيد: ٦٨
تخيير محمد في أمر نسائه: ٧٠
وحيه حسب هواه: ٧١
محمد يغدر بحفصة: ٧٢
لعن محمد لأعدائه: ٧٤
نتيجة ما تقدَّم ٧٦
الباب الثاني ٨٠
الفصل الأول: في نزاهة الكتب المقدَّسة عن كلِّ ما يشين ٨٠
سلامة الكتب المقدَّسة من الاختلافات ٨٠
الكتب المدسوسة: ٨٤
سفر أَسْتِير ٨٥
سفر دانيال ٨٦
سِفر عزرا: ٨٦
سِفر القضاة: ٨٧
سِفر راعوث: ٨٩
سِفر نحميا: ٨٩
سِفر أيوب: ٩٠
سِفر الأمثال: ٩١
سِفر الجامعة ونشيد الأنشاد: ٩١

عينة 120 صفحة من 340

سِفر إشعياء: ٩٢
إنجيل متَّى: ٩٣
إنجيل يوحنا ورسائله: ٩٥
رسالة بطرس الثانية: ٩٧
الفصل الثاني: في أنَّ جميع الكتب المقدَّسة موحى بها من الروح القدس ٩٨
الكتب الموحى بها ٩٨
كتابة النبي حسب طبعه: ١٠٣
ليس كل ما يكتبُ النبي إلهاميًا: ١٠٧
التواريخ المقدَّسة وحي: ١٠٨
القصص في القرآن: ١٠٩
تنزّه الكتب المقدَّسة عن التناقض: ١١٠
الفصل الثالث: في إلهام الحواريين بالروح القدس ١١٢
إلهام الحواريين: ١١٢
وحي بولس الرسول ١١٦
عدم أمانة المعترض: ١١٩
التواريخ المقدَّسة موحى بها: ١٢٠
إلهام لوقا البشير ١٢٣
الفصل الرابع: دحض الافتراءات ونزاهة الكتب المقدَّسة مما نسبوه إليها ١٢٨
كُلُّ ٱلْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ: ١٢٨
الرداء في ترواس والمنزل: ١٣٠
الفصل الخامس: في الكلام على خمسة أسفار موسى ١٣٥
المواد التي أخذ منها موسى: ١٣٥
كتابة سفر التكوين بعد دعوة موسى: ١٤٠
لوثر: ١٤١
صحة رسالة يعقوب الرسول: ١٤٤
كلُّ كلام الله درجة واحدة: ١٤٧
ركاكة ترجمة المعترِض: ١٤٨
المسيحيون الأوائل ويوم القيامة: ١٤٨

عينة 120 صفحة من 340

الافتراء على بعض الأفاضل: ١٥٣
الفصل السادس: نزاهة التوراة والإنجيل من التحريف والتبديل ١٥٦
هل للإنجيل أصل آرامي؟ ١٥٦
الفصل السابع: الأبوكريفا والإشارة إلى قرآن مسيلمة وقرآن ابن المقفع والمختار والأحاديث الكاذبة..... ١٦٥
الكتب المدسوسة: ١٦٥
الفصل الثامن: في نزاهة الكتاب المقدَّس عن التغيير..... ١٨٠
إنجيل متَّى ١، ٢..... ١٨٠
قصة يهوذا: ١٨٢
بِرْكة بيت حسدا: ١٨٤
الفصل التاسع: شهادة القرآن لصحة الكتاب المقدَّس ١٨٨
عدم ضياع التوراة والإنجيل قبل وقت محمد: ١٨٨
الفصل العاشر: الكتاب المقدَّس هو الأصل والدستور..... ٢٠٠
عدم جواز جعل القرآن دستورًا..... ٢٠٠
عدم جوازالاستفهام من أهل الكتاب ٢٠٣
تعلُّم الصحابة من أهل الكتاب:..... ٢٠٤
السَّفاهة سلاح الجاهل:..... ٢٠٧
صلاة محمد على النجاشي: ٢٠٩
اعتراضات الرازي على المسيحيين: ٢٠٩
افتراء القرطبي على كتب الله: ٢١١
المقريزي والتوراة السبعينية: ٢١٧
تخاريف المقريزي عن الإنجيل:..... ٢١٩
صَلْب المسيح ٢٢٠
الفصل الحادي عشر: صحة سَنَد العهد الجديد..... ٢٢٣
السند المتصل للعهد الجديد:..... ٢٢٣
مقدمة لإنجيل مرقس: ٢٤٨
الباب الثالث ٢٥١
الفصل الأول: سلامة الكتاب المقدَّس من شائبة التحريف..... ٢٥١

عينة 120 صفحة من 340

عدم التحريف المعنوي: ٢٥١
التوراة: ٢٥٢
بيان سِنِي الآباء: ٢٥٤
جبل عيبال وجرزيم: ٢٥٧
الفصل الثاني: في الردِّ على اعتراضاته المكرَّرة ٢٦٠
قطعان الغنم والرعاة: ٢٦٠
سبع سنين: ٢٦١
النقل بالمعنى: ٢٦٣
النفي والإثبات: ٢٦٤
أولاد بنيامين: ٢٦٥
التوراة وعزرا ٢٦٧
الفصل الثالث: في باقي الرد على اعتراضاته المكرَّرة ٢٧٠
عزرا وتوراة موسى: ٢٧٠
اعتراضات على خطايا الأنبياء: ٢٧٠
التنبُّؤ بالمحرَّف! ٢٧١
العصمة في التبليغ: ٢٧١
بعض الأسماء: ٢٧١
بعض الأعداد: ٢٧٢
عُمْر بعض الملوك: ٢٧٢
ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ ٢٧٣
إشعياء ٦٤ : ٢ ..... ٢٧٤
لم ترَ عين ولم تسمع أذن ٢٧٤
كنيسة الله ٢٨٠
الفصل الرابع: في دحض ما ادَّعى به من التحريف بالزيادة ٢٨١
الأبوكريفا والمجامع ٢٨١
سفر أَسْتِير ٢٨٤
الكنيسة الكاثوليكية وكتب الأبوكريفا ٢٨٥
الفصل الخامس: شُبُهاتٌ وهمية حول أسفار موسى الخمسة ٢٨٧

عينة 120 صفحة من 340

يائير بن سجوب ٢٨٨
جبل الله: ٢٨٩
عوج ٢٩٠
الكنعانيون ٢٩١
المنُّ: ٢٩١
كتاب «حروب الرَّب» ٢٩٢
حبرون ٢٩٣
دان ٢٩٤
الكنعانيون في الأرض: ٢٩٤
أوائل التثنية: ٢٩٥
الأصحاح الأخير من التثنية: ٢٩٦
السامرية والعبرية: ٢٩٨
عدم دخول ابن زنى في جماعة الرب: ٢٩٩
الفصل السادس: دحض ما أورده من الشبهات على باقي الكتب المقدَّسة» ٣٠١
إِلَى هٰذَا ٱلْيَوْمِ ٣٠١
سفر ياشر ٣٠٢
آخر سِفر يشوع: ٣٠٥
آيات من سِفر القضاة ٣٠٥
المدرج ٣٠٧
الفصل السابع: في الردِّ على شُبُهات على بعض آيات من الإنجيل ٣٠٩
اقتسموا ثيابي واقترعوا على قميصي: ٣٠٩
شهادة الثلاثة ٣٠٩
الألف والياء ٣١٣
اعتراف فِيلُبُّس ٣١٤
ترفس مناخس ٣١٤
سمعان الدبَّاغ ٣١٥
للربِّ الأرض وملؤها ٣١٦
لفظة أيضًا ٣١٦

عينة 120 صفحة من 340

لفظة القلب ٣١٧
آخر عبارة في الصلاة الربَّانية ٣١٧
المرأة التي اشتكوا عليها ٣١٨
علانية ٣٢٠
إلى التوبة ٣٢١
الصبغة التي اصطبغ بها ٣٢٢
ابن الإنسان ٣٢٣
نتيجة ما تقدَّم ٣٢٥
الفصل الثامن: اختلاف قراءات القرآن ٣٢٧

عينة 120 صفحة من 340

عينة 120 صفحة من 340

كتاب الهداية

اَلحمد لله الذي أنار عقولنا بكتابِهِ المقدَّس، أصل العِلم والدراية، شمس الكمال والنِّهاية. نور الاجتباء والهداية. ووقانا من غواية الضلالة. وغياهب الجهالة. نشكره على توفيقهِ العجيب. وعمل الفداء الغريب. فدبَّر سبحانه بحكمته الباهرة. ومحبَّته الظاهرة. طريقة لا تحيط بعظمتها العلوم. ولا تدرك كنه جلالتها الفهوم. بها يخلُص الإنسان من وهدة الخطية. ويتحرَّر من الأسْرِ والعبودية. ويهتدي إلى الصراط القويم. ويتمتع بالفردوس والنعيم. فإنَّ الكلمة الأزلية يسوع المسيح مجلي مرآة الذات. مركز الأسماء والصفات مهبط أنوار الجبروت. كاشف أسرار الملكوت. مجمع حقائق اللَّاهوت. توشح جلباب الناسوت. وعتقنا من الأسْرِ، وزحزح عنا الأصر، و بدَّد ظلمات الكُفر والإشراك. وهدانا إلى نور بياض الإيمان والإدراك. وأوردنا إلى صبح جبين الهدى، فزال ليل دجى الغي والعمى. فما أسمى حكمتك التي يعترف العالم بالعجز عن إدراكها! ويرجع العقل في ربقهِ خائبًا عن كشفها وفكاكها.

أما بعد، فهذا هو الجزء الثالث من كتاب «الهداية» في دحض شُبُهات أصحاب الغواية. لم نقصد به سوى خدمة الحق، وكشف الغياهب عن محيا الصدق، فتطلب منه تعالى أن ينفع به كل طالب خلاص نفسهِ قبل الحلول في رمسهِ. والعاقل من لا يفرط في الآجلة بالعاجلة، بل ينظر إلى ما هو خير وأبقى وأسمى وأجدى. ربَّنا هبنا من لدُنْكَ توفيقًا للقيام بهذه الخدمة الجليلة وتتميم هذه الغاية النبيلة بفضلك وكرمك آمين.

عينة 120 صفحة من 340

الباب الأول

الفصل الأول

في بيان الوحي الصادق والوحي الكاذب

عينة 120 صفحة من 340

الكتب المقدَّسة موحى بها من الله

قال صاحب كتاب «إظهار الحق» في الفصل الرابع: «لا مجال لأهل الكتاب أن يدَّعوا أنَّ كل كتب العهد القديم والجديد كُتِبَتْ بالإلهام، وأنَّ كل حال من الأحوال المندرجة فيه إلهاميّ».

وللردِّ نقول:

(أولاً) كُتب العهدان القديم والجديد بإلهام الروح القدس. «كُلُّ ٱلْكِتَابِ هُوَ مُوحىً بِهِ مِنَ ٱللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَٱلتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَٱلتَّأْدِيبِ ٱلَّذِي فِي ٱلْبِرِّ» (٢تيموثاوس ٣: ١٦). «لِأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ ٱللهِ ٱلْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ» (٢بطرس ١: ٢١). فترى من هذه الشهادة الصادقة أن كل كُتب العهدين القديم والجديد كُتبت بإلهام الروح القدس، لأنَّ هذه الكتب اشتملت على نبوّاتٍ إلٰهية تمَّ أغلبها فعلاً. وشهادات المؤرخين المنزَّهين عن الأغراض، سواء كانوا من الوثنيين أو غيرهم، تدل على أن أغلبها تمّ حقيقةً، وهذا من

أقوى الأدلَّة على أنَّها تنزيل الحكيم العليم العالم بالحوادث الماضية والحاضرة والمستقبلة، والبعض الآخر سيتم بمجيء المسيح ثانيةً. فإنَّه لا يعزب عنه مثقال ذرَّة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلَّا في كتاب مبين.

(ثانيًا) تأيَّدت بالمعجزات الباهرة الدالة على أن مصدرها هو الذي بيده الحركة والسكون، فموسى شقَّ البحر الأحمر وجعل العصا حيّة، وجعل يده بيضاء، وضرب المصريين بعشر ضربات. والمسيح شفى المرضى وأقام الموتى، وكذلك فعل رسُله. فلا نتصور أن تكون بلاغات هؤلاء الأنبياء والمرسَلين غير مُوحَى بها.

(ثالثًا) أوحى الله بها لأنبياء بَرَرة صالحين.

(رابعًا) لم يتمسَّك بها أحدٌ إلَّا وكانت سببًا في سعادته ورفاهيته في هذه الدنيا، فهذَّبت الأغبياء، وبدَّدت غياهب الجهالة والضلالة، وأوردت المتوحِّشين موارد التمدُّن.

(خامسًا) لا تشتمل على شيء منافٍ للعقل والذوق السليم والمستقيم.

(سادسًا) تشتمل على حقائق مهمة لا يمكن التوصُّل إليها بمجرد نور الطبيعة أو العقل البشري مهما أوتي من الذكاء.

(سابعًا) طهارة تعاليمها وقداسة وصاياها.

(ثامنًا) موافقتها لبعضها بعضًا.

(تاسعًا) ملائمتها لحالتنا.

(عاشرًا) توضيحها طريق الخلاص، وقوَّتها على إيقاظ الضمير وتنبيهه ليطلب التوبة والغفران. ولا عجب في هذا، فإنَّ الله أنار عقول الأنبياء الصادقين بروحه القدوس فيما قالوه أو كتبوه، وعصمهم عن الزلل والنسيان في البلاغات الإلهية، فكان هو المتكلِّم على ألسنتهم، وأيَّدهم بالمعجزات الباهرة.

عينة 120 صفحة من 340

وعل هذا القياس يكون القرآن غير موحى به من الله فإنه:
(١) لم يتأيّد بمعجزةٍ ولا آية.
(٢) لم تكن حالة صاحبه لائقة ليتّخذه الله آلةً في البلاغات الإلهية.
(٣) تنافي طرق وحيه طرق وحي الأنبياء الصادقين.

وقبل الشروع في دحض شبه المعترض لنوضح بعض حالات محمد وقت إلقاء الأقوال التي ادَّعى أنَّها وحي، فنقول:

حالة وحي محمد

ورد في الأحاديث الصحيحة أنه كان إذا نزل عليه الوحي يُغشى عليه، وفي رواية يصير كهيئة السكران[١]. يعني يقرب من حال المغشي عليه، لتغيّره عن حالته المعهودة تغيُّراً شديداً، حتى تصير صورته صورة السكران.

وقال علماء المسلمين إنَّه كان يُؤخذ من الدنيا[٢]. وعن أبي هريرة: «كان محمد إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة» وفي رواية «كرُب لذلك وتربَّد له وجهه وغمّض عينيه، وربما غطَّ كغطيط البَكَر»[٣]. وعن عمر بن الخطاب: «كان إذا نزل عليه الوحي يُسمع عند وجهه دوي كدوي النحل»[٤]. وسُئل محمد: كيف يأتيك الوحي؟ (قال علماء المسلمين المراد بالوحي هنا حامل الوحي جبريل) فقال: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليَّ، فيُفصم (أي يقلع) عني وقد وعيت ما قال»[٥]. وأجمع علماؤهم ومحدِّثوهم على أنَّ محمداً «كان يجد ثقلاً عند نزول الوحي، ويتحدَّر جبينه عرقاً في البرد كأنَّه الجُمان، وربما غطّ كغطيط البَكَر (أي:

١ - «السيرة النبوية» لابن كثير ج١ فصل كيفية إتيان الوحي
٢ - «القرآن المجيد» لدَرْوزة
٣- صحيح البخاري باب كيفية نزول الوحي
٤- «عن القرآن» لمحمد صبيح
٥- صحيح البخاري باب كيفية نزول الوحي

عينة 120 صفحة من 340

كهدير الإبل)، محمرَّة عيناه». وعن زيد بن ثابت: «كان إذا نزل الوحي على محمد ثقل لذلك. ومرة وقع فخذه على فخذي، فوالله ما وجدت شيئًا أثقل من فخذ محمد»[٦]. وربما أُوحي إليه وهو على راحلته فترعد حتى يظنُّ أن ذراعها ينقسم وربما بَرَكت. وعن أسماء بنت عميس: «كان محمد إذا نزل عليه الوحي يكاد يُغشى عليه» وعن أبي هريرة: «كان محمد إذا نزل عليه الوحي صدع فيغلف رأسه بالحناء»[٧]. وفي مسلم عن أبي هريرة: «كان محمد إذا نزل عليه الوحي لم يستطع أحد منا أن يرفع طرفه إليه حتى ينقضي الوحي».

الوحي في ثوب امرأة

جاء في صحيح البخاري[٨]: عن عائشة أن نساء رسول الله كنَّ حزبين، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر فيه أم سلَمة وسائر نساء رسول الله. وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله عائشة، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إليه أخَّرها، حتى إذا كان في بيت عائشة بعث إليه بها. فقال حزب أم سلَمة لها: كلّمي رسول الله أن يكلِّم الناس فيقول: من أراد أن يـُهدي إلى رسول الله هدية، فليُهدها إليه حيث كان من نسائه. فكلَّمته أم سلَمة بما قلن لها، فلم يقل لها شيئًا. فسألنها، فقالت: ما قال لي شيئًا. فقلن لها: فكلميه. فكلَّمته حين دار إليها، فلم يقل لها شيئًا، فسألنها؟ فقالت: ما قال لي شيئًا. فقلن لها: كلميه حتى يكلمك. فدار إليها فكلمته فقال لها: «لا تؤذيني في عائشة، فإن الوحي لم يأتني، وأنا في ثوب إمرأة إلَّا عائشة». قالت: فقلتُ: أتوب إلى الله

٦ - صحيح البخاري كتاب التفسير باب سورة النساء

٧ - «السيرة النبوية» لابن كثير ج١ باب كيفية إتيان الوحي

٨ - صحيح البخاري الجزء ٣ كتاب الهبة وفضلها

عبدة 120 صفحة من 340

من أذاك يا رسول الله.[٩]

الفرق بين محمد وغيره من الأنبياء الصادقين

فهذا الحال هو مغاير على خط مستقيم لحال الأنبياء الكرام، فكان الواحد منهم يتكلَّم بالحِكَم الإلهية ويصدع بالحق أمام الملوك والأمراء والنبلاء والعلماء والفهماء والفلاسفة وأصحاب الجاه والشوكة، ولا يخشى في الحق لومة لائم، وهو بكامل صحته العقلية والجسدية وذلك مثل صموئيل النبي وإيليا وإشعياء وحزقيال وغيرهم. ولم يرد في كتاب الله أن نبيًا من الأنبياء كان عند نزول الوحي يغشى عليه! أو يصير كالسكران أو تحمر عيناه أو تجزع الناس بل البهائم من منظره! أو يغط كغطيط البكر (أي يهدر كهدير الفتى من الإبل) وغير ذلك من أحوال التشنجات والأمراض العصبية. فكان حال محمد أقرب شبهًا بحال مصاب بداء الصرع أو مصاب بتشنجات عصبية.

وقد كان حال محمد قبل الوحي كذلك. روى ابن اسحق أنه كان يُرقَى من العين وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن، فلما نزل عليه القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه قبل ذلك. فكان يصيبه قبل نزول القرآن ما يشبه الإغماء بعد حلول الرعدة به وتغميض عينيه وتربُّد وجهه، أي تغيُّره، وغطيطه كغطيط البَكَر. فقالت له خديجة: «أوجّه إليك من يرقيك» قال: «أما الآن فلا» وقرر علماء المسلمين أن آمنة أم محمد رقَتْهُ من العَيْن. وقيل لما كانت حاملاً به جاءها المَلَك وقال لها قولي إذا ولدتيه:

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد

الشيطان قرين محمد

وقال مفسّرو المسلمين إنَّه كان لمحمد عدوٌّ من شياطين الجن يُقال

٩ - ورد الحديث أيضًا في «مشكاة المصابيح» تحقيق الألباني حديث رقم ٦١٨٠

عينة 120 صفحة من 340

له الأبيض، كان يأتيه في صورة جبريل. واعترض بعضهم بأن هذا يعني عدم الوثوق بالوحي (وهو اعتراض في محله). ولكنهم أجابوا عن ذلك بأن الله جعل في محمد عِلمًا ضروريًا يميّز به بين جبريل وبين هذا الشيطان. قالوا: «ولعل هذا الشيطان غَيْر قرينه الذي أسلم». وفي كلام ابن العماد: «وشيطان الأنبياء يُسمَّى الأبيض». قالوا: «وهذا الشيطان هو الذي أغوى صيصا الراهب العابد بعد عبادته ٥٠٠ سنة، وقيل ٧٠ سنة». وهو المعنيُّ بقوله في القرآن: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ (سورة الحشر ٥٩: ١٦). وقال الخازن: «إنَّ الشيطان المُسمَّى الأبيض تصدّى لمحمد وجاءه في صورة جبريل ليوسوس إليه على وجه الوحي، فلحقه جبريل فدفعه إلى أقصى الهند».[١٠]

(١) ولا يخفى أنَّ أحوال الأنبياء الصادقين منافية لهذا، فإنَّهم تربّوا في مهد التقوى وعبادة الله الصحيحة. لما وُلد صموئيل النبي كرَّستْهُ أمُّه لخدمة هيكل الله. فتربَّى عند عالي الكاهن، وتعلَّم الشريعة، وأوحى الله إليه إرادته الصالحة، فتنبَّأ عن الشر الذي يحلُّ بالفجَّار. فلا رقَتْه أمُّه من الحاسد أو العين، لأنها كانت من شعب الله، وتعرف أن الحركة والسكون والمرض والموت هي بيد الله فقط. وهذا بخلاف الأمهات اللواتي يعتقدن بالعين وغيرها من الخرافات.

(٢) لم يرد في كتاب الله أنَّ نبيًا كان له قرينٌ من الجنّ أو شيطان من الشياطين، فإنَّ الشيطان لا يكون قرينًا إلَّا لمن خلا من النعمة الإلهية! أما الذي فيه نعمة الله فيسكن فيه الروح القدس، فالإنجيل يقول لكل مؤمن: «جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ ٱلَّذِي فِيكُمُ» (١كورنثوس ٦: ١٩) فما بالك بأنبيائه؟ وهل يُعقل أن الله يأتمن من له قرين من الجن أو شيطان من الشياطين على كلمته الإلهية وإعلان إرادته للناس؟ فمن أُوتي ذرَّة من التمييز

١٠ - الرازي في تفسيره للحج ٢٢: ٥٢ ، وتفسيره للتكوير ٨١: ٢٠

عدد الصفحات 120 صفحة من 340

لا يصدِّق ذلك.

(٣) والحاصل أنَّ من تأمل التوراة والإنجيل رأى أن أنبياء الله منزَّهون عن الاعتقادات والخرافات الفاسدة، مؤيَّدون بالروح القدس، الذي كان يرشدهم إلى ما يقولون ويفعلون. لقد تهذَّب موسى النبي في أعظم مدارس مصر، التي انفردت بالعلوم في ذلك العصر. وكان بولس الرسول تلميذًا لأشهر أساتذة عصره. وبصرف النظر عن ذلك فكان الروح القدس هو الهادي لهم، فلا ينطقون إلَّا بإرادة الله، ولم تكن للشياطين والأبالسة سلطة عليهم في شيء، بل كان الأبالسة يجزعون منهم لأن قوة الله كانت معهم وفيهم.

عدم تأكد محمد من الخيالات التي كان يتوهَّمها (وحيه)

ومن نظر في الأحاديث المحمدية، رأى أن محمدًا كان غير متأكد من وحيه. ورد عن إسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير، أنه حدّث عن خديجة، إنها قالت لمحمد: «أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟» قال: نعم. فجاءه جبريل، فقال لها محمد: «يا خديجة هذا جبريل قد جاءني». قالت: «قم يا ابن عم فاجلس على فخذي». فقام فجلس على فخذها. فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. قالت: فتحوَّل فاجلس في حجري. فتحوّل محمد فجلس في حجرها. قالت: هل تراه؟ قال: نعم. فألقت خِمارها، ومحمد جالس في حجرها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا. قالت: «يا ابن عم اثبُت وابشِر، فوالله إنه لملاك وما هذا بشيطان».[١١]

قال علماؤهم إن خديجة أزالت غطاء رأسها لتعلم هل هذا جبريل الذي كان يأتي الأنبياء قبله، أو هل هو الإغماء الناشيء عن لِمَّة الجن، فيكون محمد من الكهّان لا من الأنبياء. وقال محمد بسببه لخديجة: «لقد

١١ - «السيرة النبوية» ابن كثير باب كيفية إتيان الوحي.

عبسة 120 صفحة من 340

خشيتُ على نفسي» وقد أجمع علماؤهم على أنه كان يعتريه الإغماء وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن، كما كان يعتريه عند نزول الوحي عليه. فبسبب إزالتها غطاء رأسها عنها اختفى، فلم يعُدْ إلى أن أعادت غطاء رأسها عليه. فاستنتجت أن ما يعرض له هو الوحي، لأنّ الملاك لا يرى رأس المرأة المكشوف، بخلاف الجن!

وواضح أن خديجة هي التي استنتجت بأنَّ الذي كان يعرض له هو حامل الوحي. وهو استنتاج غريب. فهل تربَّتْ خديجة بين الأنبياء، أو هل كان في عشيرتها نبيٌّ، تعتريه مثل هذه الحالة، فتقيس عليها حالة محمد؟ إنَّ أهلها كانوا من الأرجاس الذين لا يعرفون نبيًا ولا وليًّاً ولا وحيًا، بل كانوا يتمسكون بالخرافات الباطلة مثل الجن والكهَّان. وإنَّ الاستنتاج الذي استدلت به على أنَّ الذي كان يعرض له الملاك لا الجن هو انكشاف رأسها فتوهَّمت أن الملاك لا يرى الرأس المكشوف من المرأة بخلاف الجن وهو من الغرائب! والحق الذي لا مراء فيه أن المولى سبحانه لم يوح إلى نبي من الأنبياء بهذه الكيفية الغريبة وهي أن يضطجع في حِجْرِ امرأته ويتوهَّم الأوهام ويتخيل الخيالات وهو يقول إن الجن يأتونه، وهي تقول: إنَّه جبريل! ولعل هذه الحالات التي كانت تعتريه هي نتيجة التشنُّجات العصبية.

شروع محمد في الانتحار

ومن الغرائب أنَّ محمدًا كاد ينتحر بأن يلقي بنفسه من أعلى الجبال. وفي رواية أنَّه «لما فتر الوحي عنه حزن حزنًا شديدًا حتى كان يغدو إلى جبل ثبير مرة، وإلى حراء مرة أخرى، يريد أن يلقي نفسه منه. فكلما وافى ذروة جبل منهما كي يلقي نفسه تبدَّى له جبريل، فقال له: يا محمد أنت رسول الله حقًا. فيسكن لذلك جأشه وتقرّ عينه ويرجع. فإذا طالت عليه فترة

عيسة 120 صفحة من 340

انقطاع الوحي عاد لمثل ذلك»[١٢]. واختلفوا في مدة هذه الفترة. وفي فتح الباري جزم ابن اسحق بأنها ثلاث سنين، وقال أبو القاسم السهيلي: «جاء في بعض الأحاديث المسنَدة أن مدة هذه الفترة كانت سنتين ونصف سنة». وقال الحافظ السيوطي: «إنها كانت سنتين».

والظاهر أنَّه لما كان ينقطع المصدر الذي كان يقتطف منه بعض القصص التاريخية والروايات الكتابية والأحكام الشرعية كان يدَّعي بأن الملاك انقطع عنه، فإن محمدًا كان يلتقط من أهل الكتاب كثيرًا من أقوالهم. وكثيرًا ما أفحمه أهل الكتاب من اليهود أو المسيحيين، فكان تارة يعجز عن مجاوبتهم، وأخرى يطلب منهم الإمهال إلى أن يتروَّى ويتحرَّى ويستفهم.

نتيجة ما تقدَّم

والحاصل أن كيفية الوحي لمحمد كانت منافية لكيفية الوحي الحقيقي

(١) كان إذا أتاه الوحي استلقى على ظهره.

(٢) كان يتوهم أنَّ جبريل يأتيه في صورة دِحية بن خليفة الكلبي، وكان جميلاً وسيمًا، إذا قَدِم لتجارةٍ خرجت النساء لتراه.

(٣) كان يأتيه مخاطبًا له بصوت في مثل صلصلة الجرس. وقيل في الصلصلة المذكورة إنها صوت المَلَك بالوحي وقيل صوت المَلَك.

(٤) ادَّعوا أنَّه كان يرى جبريل في صورته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح، كل جناح منها يسدُّ أفق السماء.

(٥) كاد أن يتردَّى (أي يلقي بنفسه في مهواة).

(٦) كثيرًا ما أفحمه أعداؤه فلم يجبهم بما يشفي غليلاً. وكثيرًا ما أخذ مهلة

١٢ - السيرة الحلبية، باب بدء الوحي. والقرآن المجيد، لدَرْوَزة

عبقة 120 صفحة من 340

للتروِّي في كيفية الجواب وللاستفهام من أهل الكتاب.[١٣]

الوحي الصادق

أما وحي أنبياء الله الصادقين فهو غير ذلك، فكانوا أصحَّاء في أجسادهم وعقولهم، لم يعجزوا عن توضيح الحقائق الإلهية لأن معلِّمهم ومرشدهم هو الروح القدس. قال المسيح لرسله: «فَمَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلَا تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ، لِأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ ٱلسَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ، لِأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ ٱلْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ ٱلَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ» (متَّى ١٠: ١٩، ٢٠) «فَمَتَى سَاقُوكُمْ لِيُسَلِّمُوكُمْ، فَلَا تَعْتَنُوا مِنْ قَبْلُ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ وَلَا تَهْتَمُّوا، بَلْ مَهْمَا أُعْطِيتُمْ فِي تِلْكَ ٱلسَّاعَةِ فَبِذَلِكَ تَكَلَّمُوا، لِأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ ٱلْمُتَكَلِّمِينَ بَلِ ٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ» (مرقس ١٣: ١١) «لِأَنِّي أَنَا أُعْطِيكُمْ فَمًا وَحِكْمَةً لَا يَقْدِرُ جَمِيعُ مُعَانِدِيكُمْ أَنْ يُقَاوِمُوهَا أَوْ يُنَاقِضُوهَا» (لوقا ٢١: ١٥). فهذا هو معنى الوحي الإلهي، وهو أن الله يرشد الرسل والأنبياء إلى ما يقولونه ويعطيهم الحكمة الإلهية ويمنحهم الفهم والحكمة التي لا يبلغ أي إنسان كان شأوها مهما أوتي من الفصاحة والبلاغة والعلم، وقد تمَّ هذا القول مع الرسل، فوقفوا أمام الولاة والملوك وأذهلوهم بحكمتهم الإلهية الفائقة ولم تفحمهم الفلاسفة ولا العلماء، وهذا بخلاف محمد. فكان اليهودي الغر يفحمه والمسيحي الجاهل يربكه بالأسئلة. فإذا سأله الواحد منهم عن أمر أمهله مدة من الزمن بدعوى أن جبريل لم يأته بالوحي! ومتى استفهم من هذا وذاك أتى بكلام أبتر أو بقول مبهم ملتبس! فلا يجوز أن نقول عن هذا إنَّه وحي.

عدد الصفحات 120 صفحة من 340

١٣ - راجع كيفية نزول الوحي في البخاري، ومسلم، والسيرة الحلبية، والبداية والنهاية، والإتقان في علوم القرآن

الفصل الثاني

(في البراهين التي تُؤخذ من ذات القرآن على أنَّه ليس بوحي)

عينة 120 صفحة من 340

تأليف القرآن مقطَّعًا

القرآن يُباين كُتُب الوحي الصادقة في كيفية تأليفه. فأجمع علماء المسلمين على أنَّه نزل مُنَجَّمًا في عشرين سنة أو ثلاثة وعشرين سنة أو خمسة وعشرين سنة، على حسب الخلاف في مدة إقامة محمد بمكة بعد البعثة. وأخرج الحاكم والبيهقي أيضًا والنَّسائي من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: أُنزِل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القَدْر، ثم أُنزِل بعد ذلك بعشرين سنة. ومما يدل على ذلك قوله في سورة الإسراء ١٧: ١٠٦ ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ ومعنى قوله فَرَقْنَاهُ أي نزَّلناه مُفَرَّقًا مُنَجَّمًا. قال الحازن: ومعنى قوله عَلَى مُكْثٍ أي على تؤدة وترسل في ثلاث وعشرين سنة، وقوله: وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا أي حسب الحوادث. فإذا استفهم العرب منه عن شيء أحدث لهم جوابًا. وعلماء المسلمين معترفون بأنَّ هذه الطريقة لا تشبه طريقة كتب الوحي، قال أبو شامة فإنَّ قيل ما السرّ في نزوله منجَّمًا وهلَّا نزل كسائر الكتب جملة؟ وردَّ على ذلك بقوله: ورد في القرآن جواب ذلك فورد في سورة الفرقان ٢٥ : ٣٢ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ وقال المفسِّرون أي كما أُنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود، فردَّ عليهم بقوله أنزلناه مفرَّقًا لتقوي

به قلبك، فتعيه وتحفظه فإنَّ الكتب المتقدِّمة نزلت على أنبياء يكتبون ويقرأون، وأنزلنا القرآن على نبي أُمِّي لا يكتب ولا يقرأ.

ولأنَّ من القرآن الناسخ والمنسوخ ولا يتأتَّى ذلك إلَّا فيما أُنزِل مُفَرَّقًا، ومنه ما هو جواب لسؤال وما هو إنكار على قول قيل أو فعل فُعِل، هذا كلام السيوطي في «الإتقان» فلا عجب إذا كان أغلب القرآن مُقتَضَباً مجرَّدًا عن الانسجام والارتباط، مشوَّشًا لأنَّه كناية عن أجوبة لأسئلة شتَّى عن أشياء متنوعة. فهو كناية عن جمل إيجابية أو سلبية أو روايات مشحونة بالأخطاء. ولنضرب مثالاً يوضح أخطائه فنقول: قد سأله أحد خضومه عن أهل الكهف، ما كان من أمرهم، وسألوه عن ذي القرنين ما كان نبؤة، وسألوه عن الروح ما هي، فقال لهم محمد: «سأخبركم غدًا» ولم يستثن (أي لم يقل إن شاء الله تعالى) فمكث محمد خمسة عشر يومًا، وقيل ثلاثة أيام وقيل أربعة أيام، وتكلَّمت قريش في ذلك. ومن جملة من قال إن محمدًا قلاه ربُّه أم جميل امرأة عمّه أبي لهب، قالت له: «ما أرى صاحبك إلَّا وقد ودَّعك وقلاك (أي تركك وبغضك)». وفي رواية قالت امرأة من قريش: «أبطأ عليه شيطانه» وبعد مدة أتى بخبر أهل الكهف المذكورة في القرآن، وهو غلط بل خرافة. وكذلك أخطأ في كلامه على الإسكندر ذي القرنين الغازي الشهير، وكذلك عجز عن شرح الروح فقال إنَّها من أمْرِ ربِّي.

معنى الروح

قال الغزالي: الروح روحان، حيواني وهي التي تسميه الأطباء المزاج وهو جسم لطيف بخاري معتدل سار في البدن، الحامل لقواه من الحواس الظاهرة والقوى الجسمانية وهذه الروح تفنى بفناء البدن وتنعدم بالموت. وروح روحاني وهي التي يُقال لها النفس الناطقة، ويقال لها اللطيفة الربانية إلى أن قال: ولها تعلق بقوى النفس الحيواني وهذه الروح لا تفنى بفناء

عدد الصفحات 120 صفحة من 340

البدن وتبقى بعد الموت. وقال أكثر أهل السُّنَّة: الروح جسم لطيف مغائر للأجسام ماهية وهيئة متصرف في البدن حال فيه حلول الدهن في الزيتون، وإذا فارق البدن مات. فعلماء المسلمين خاضوا في الكلام على الروح وأخذوا في الشرح والتفصيل بخلاف القرآن! فإنَّه توقَّف وقال إنَّها من أمْرِ ربِّي! ومن المعلوم أن كل شيء في العالم المادي أو الروحي هو من أمر ربِّي فكل شيء بهِ ولهُ.

والحاصل أنَّ القرآن هو كناية عن أسئلة وإجابات مشحونة بالأخطاء، وكثيرًا ما كان يعجز عن الرد عليها جملة أيام أو أسابيع لعدم درايته بما يردُّ به على خصومه إلى أن يلتقط من هذا وذاك ما يستعين به على الجواب. وتقدَّم أنَّ تلاميذ الرب يسوع وقفوا أمام العلماء والأمراء والملوك والسلاطين وأجابوا عن كل ما سُئِلُوا عنه بدون توقف ولا تلعثم. والمسيح قال لهم: «وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلَاةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِي شَهَادَةً لَهُمْ وَلِلْأُمَمِ. فَمَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلَا تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ، لِأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ ٱلسَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ، لِأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ ٱلْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ ٱلَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ» (متَّى ١٠: ١٨ - ٢٠) ولكن شتَّان بين النبي الصادق وبين غيره. والحاصل أنَّ القرآن هو مُفرَّق أو مشتَّت حسب شهادته وحسب أقوال العلماء، فربما كانت العبارة الواحدة التي يسمُّونها آية تشتمل على أمرين متناقضين، وهذا بخلاف الكتب المقدَّسة فطريقتها غير طريقته. روي عن ابن عباس قال: «قالت اليهود: يا أبا القاسم لولا أُنزِل القرآن جملة واحدة كما أُنزِلت التوراة على موسى. فردَّ عليهم بما تقدَّم». قال السيوطي: ولو كانت الكُتُب كلّها نزلت مفرَّقة لكان يكفي في الرد عليهم أن يقول إن ذلك سُنَّة الله في الكتب التي أنزلها على الرسل السابقة كما أجاب بمثل ذلك قولهم وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فقال: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان ٢٥: ٧). وقولهم اجعل بشرًا رسولاً

عيسة 120 صفحة من 340

فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ (النحل ١٦: ٤٣). من وقولهم كيف يكون رسولاً ولا هَمَّ له إلَّا النساء، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (الرعد ١٣: ٣٨). إلى غير ذلك.

ومن الأدلَّة على أنَّ كيفية نزول القرآن مباينة لنزول الكتب المقدَّسة ما ورد في القرآن من الكلام على إنزال التوراة على موسى، قال: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ (الأعراف ٧: ١٤٤)، وقوله ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف ٧: ١٤٥)، وقوله: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ وقوله: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ وغير ذلك مما يدل على نزول التوراة جملة. أما القرآن فهو خلاف هذا. قال ابن اشته في كتاب «المصاحف»: عن عكرمة في قوله بمواقع النجوم قال: «نزل القرآن نجومًا ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات» وقال النكراوي في كتاب «الوقف»: «كان القرآن ينزل مفرَّقًا الآية والآيتين والثلاث والأربع وأكثر من ذلك» والذي استقري من الأحاديث الصحيحة وغيرها أن محمدًا كان يأتي بالأقوال القرآنية بحسب الحاجة، خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل. وقد صحَّ نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة، وصحَّ نزول عشر آيات من أول سورة المؤمنين جملة، وصحَّ نزول غير أولي الضرر وحدها وهي بعض آية، وكذا قوله وإن خفتم عيلةً إلى آخر الآية نزلت بعد نزول أول الآية.

مقارنة بين الكتب المقدَّسة وبين القرآن

فالقرآن يخالف كتب الوحي الصادقة على خط مستقيم في اقتضابه، هذا فضلاً عن التكرار الممل، والطعن في كل من عارضه أو قاومه والتشنيع فيه بأقبح الألفاظ. ولم يشتمل على تعليم جديد أو خبر سديد، ومع أنَّه لا يجوز المقارنة بينه وبين التوراة الشريفة والإنجيل الشريف إلَّا أنه لا مانع من ذِكر طرف مما أُختصت به هذه الكتب المقدَّسة.

عدد الصفحات 340 من 1260

فمن تأمَّل في أقوال المسيح الباهرة رآها منسجمة العبارة رقيقة الإشارة، مشتملة على التعاليم السديدة والمعاني المبتكرة والأمثلة المحكمة والأقوال الغرآء التي هي فوق الطاقة البشرية. ومع تقدُّم الدنيا في العلوم والفنون والاختراعات إلَّا أنه لا يمكن للفلاسفة ولا للمخترعين ولا للفهماء ولا للعلماء مهما أُوتوا من العلم أن يأتوا بشيء من هذه التعاليم، بل هي لا تزال موضوع تعجبهم واستغرابهم. وعلى المطالع أن يحقق الخبر بالاختبار بأن يطالع موعظة المسيح على الجبل (إنجيل متَّى ٥ - ٧) والأمثال التي ضربها، والتشبيهات البديعة التي قرَّب بها الحقائق السامية لعقول سامعيه، وأن يتأمَّل في أقوال التلاميذ التي نطقوا بها بإلهام الروح القدس، وأقوال موسى وأنبياء الله كإشعياء وإرمياء وحزقيال ودانيال وغيرهم. فإذا فعل ذلك وجد فرقًا جسيمًا وبونًا شاسعًا عظيمًا بين أقوال الحق هذه وبين أقوال القرآن، وشتان بين كلام الهدى وبين كلام الهوى.

أسباب أقوال القرآن

ولما كانت أقوال القرآن مقتضبة (أي لا توجد في عباراته مناسبة) ولا ملائمة، وربما كانت ذات الفقرة الواحدة متباينة، وضع العلماء كُتبًا في أسباب كل عبارة قالها وسمُّوها «أسباب النزول» وهو من أقوى الأدلَّة على أن القرآن ليس بوحي أو تنزيل، بل هو حكاية عن أقوال معارضيه أو وصف أحوالهم. ولنذكر طرفًا يوضح صدق مقالنا فنقول: إنَّ سبب الطعن الوارد في أوائل سورة البقرة هو مقاومة ومعارضة العرب وغيرهم لمحمد ففوَّق سهام الطعن فيهم وسلقهم بألْسنة حداد لشدة ما أظهروه من معارضته. وكان يجب عليه في هذه الحالة أن يؤيِّد صدق مقاله بالمعجزات الباهرة أولًا، فإذا أصرُّوا على العناد وعدم الإذعان والامتثال فكان يسوغ له حينئذ توبيخهم والتقريع عليهم.

صفحة من 120 صفحة 340

قالوا: آمنا

﴿وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (البقرة ٢: ١٤).

قال ابن عباس: «نزلت هذه الآية في عبد الله بن أُبيّ وأصحابه، خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفرٌ من أصحاب محمد. فقال عبد الله بن أُبيّ لأصحابه: انظروا كيف أردُّ هؤلاء السفهاء عنكم؟ فذهب فأخذ بيد أبي بكر وقال: مرحبًا بالصديق سيد بني تميم، وشيخ الإسلام، وثاني رسول الله في الغار، الباذل نفسه وماله له». ثم أخذ بيد عمر فقال: «مرحبًا بسيد بني عُدَيّ بن كعب، الفاروق، القوي في دين الله». ثم أخذ بيد عليّ فقال: «مرحبًا بابن عم رسول الله وختنه». فقال له عليّ: «اتقِ الله يا عبد الله، ولا تنافق، فإن المنافقين شرّ خليقة الله». فقال: «مهلاً يا أبا الحسن، إني لا أقول هذا نفاقًا. والله إن إيماننا كإيمانكم، وتصديقنا كتصديقكم». ثم تفرَّقوا. فقال عبد الله لأصحابه: «كيف رأيتموني فعلت؟» فأثنوا عليه خيرًا. فقوله «شياطينهم» أي رؤساؤهم وكهنتهم.[١٤]

فمن هنا ترى أنَّه لا معنى ولا حاجة لوحيٍ في هذه العبارة، فهي تورد ما قالوه وتشرح حالهم، ويمكن لأي إنسان أن يصف حال أولئك المنافقين بمثل هذه العبارة القرآنية وأبلغ منها.

فإذا قيل إن في إسناد هذا الحديث كذاب هو السدي الصغير، وواهٍ هو أبو صالح، قلنا إن جميع كتب الحديث بما في ذلك البخاري ومسلم مطعونٌ فيها. واقرأ إن شئت «طبقات المدلِّسين» للسيوطي، و«الضعفاء والمتروكون» للنَّسائي.

١٤ - أسباب النزول للسيوطي سبب نزول البقرة ٢: ١٤

عدد صفحات 120 من 340

بعوضة فما فوقها:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة ٢: ٢٦).

(١) لما ضرب محمدٌ المَثَل بالذباب والعنكبوت، وذكر النحل والنمل، قال المعارضون: «ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة! إننا لا نعبد إلٰهًا يذكر هذه الأشياء». فقال محمد: «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً». فأجابهم من جنس أقوالهم، ولم يأتِ بجديد!

(٢) كان ينبغي أن يقول بعوضة فما تحتها لا بعوضة فما فوقها، فما تحتها هو الصحيح في مثل هذا الموقف. وقد حاول علماء المسلمين تفسير هذا، فقالوا فما فوقها أي دونها في الصِّغر!! (الطبري في تفسير البقرة ٢: ٢٦).

الصابئون:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلنَّصَارَىٰ وَٱلصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ٢: ٦٢).

(١) قال سليمان: سألتُ محمدًا عن أهل دينٍ كنت معهم، فذكرتُ من صلاتهم وعبادتهم. فقال محمد هذه العبارة المذكورة. ورُوي أنه لما قصَّ سليمان على محمد قصة أصحابه، قال: هم في النار. فأظلمت عليه الأرض. ثم أورد بعد ذلك قوله «إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا.. إلى قوله وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ». قال: «فكأنما كُشف عني جبل».[١٥]

فكان محمد يراعي ظروف الأحوال، ويجتهد في إرضاء الناس ومراعاة

١٥ - أسباب النزول للسيوطي سبب نزول البقرة ٢: ٦٢

عينة 120 صفحة من 340

خواطرهم، أمَّا الأنبياء الصادقون فهم بخلاف ذلك، فهذا إيليَّا النبي وقف أمام ملك إسرائيل وقال له: «إنَّك سبب حلول البلايا الطامة والرزايا العامة على الأمَّة بسبب شرورك وفجورك» ولم يخشَ في الحق لومة لائم، ولم يدارِهِ ولم يبال بسلطانه وقوَّته وجبروته، بل نطق بالحق مرة واحدة. ومحمد لم يفعل ذلك، بل لما قصَّ سلمان عليه قصة أصحابه قال: «هُم في النار»، ولما رأى أن ذلك يكدِّره قال: «لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» فلا يصحّ أن يكون الوحي بهذه الصفة، بل أن هذا القول جدير بأن يلحق بالسياسة لا بالدين. أما أنبياء الله الصادقون فهم الذين يعلنون الحق ولا يتراجعون عنه مهما كانت الأسباب البشرية، لأن روح الله يتكلَّم فيهم.

(٢) وردت هذه الآية مرة أخرى صحيحة لغويًا في الحج ٢٢: ١٧ ووردت مرة ثالثة خاطئة لغويًا في المائدة ٥: ٦٩ حيث تقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّابِئُونَ﴾ (والصواب: والصابئين).

اليهود:

﴿وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا، وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة ٢: ٧٦).

قال ابن زيد: كانوا إذا سُئِلُوا عن الشيء قالوا: أما تعلمون في التوراة كذا وكذا؟ قالوا: بلى، قال: وهُمْ يهود، فيقول لهم رؤساؤهم الذين يرجعون إليهم مالكم تخبرونهم بالذي أنزل الله عليكم فيحاجوكم به عند ربكم، أفلا تعقلون؟ وقد جاء في الحديث أن محمدًا قال: «لا يَدْخُلَنَّ عَلَيْنا قَصبَة المَدِينَةِ إِلَّا مُؤْمِنٌ» فقال رؤساء اليهود، اذهبوا فقولوا آمنا، واكفروا إذا رجعتم، قال: فكانوا يأتون المدينة بالبكر ويرجعون إليهم بعد العصر ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ آمِنُوا بِٱلَّذِي أُنْزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوا

عينة 120 صفحة من 340

آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران ٣: ٧٢).

فالعبارة القرآنية حكاية عن حادثة وقعت لمحمد وليس فيها شيء من الوحي، وهي تدل على أن المسلمين كانوا يتعلّمون من أهل الكتاب كثيرًا (الطبري في تفسير البقرة ٢: ٧٦).

تمنِّي الموت:

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِنْدَ ٱللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة ٢: ٩٤)

رُويَ أن اليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلّا من كان هودًا. وقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. فكذَّبهم محمد بهذه العبارة. وهذا التكذيب مجرد من الأدلة العقلية المنطقية. وبيان ذلك أن أبناء الله لا يتمنُّون الموت، بل يسلّمون الأمر لله، إن شاء أبقاهم لتمجيد اسمه وإذاعة حمده وشكره، وإن شاء نقلهم إلى دار النعيم. من الغرائب أن ابن عباس روى عن محمد أنه قال: لو تمنّوا الموت لغصَّ كل إنسان بريقه، وما بقي على وجه الأرض يهودي إلّا مات. وهو كلام غير معقول.

جبريل:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ (البقرة ٢: ٩٧).

كان لعمر بن الخطاب أرض بأعلى المدينة، وكان ممرّهُ إليها على مِدْراس اليهود، فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم. فقالوا يومًا: «ما في أصحاب محمد أحبُّ إلينا منك، وإنّا لنطمع فيك». فقال عمر: «والله ما آتيكم لحبِّكم، ولا أسألكم لأني شاكّ في ديني. وإنما أدخل إليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد». فقالوا: «من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة؟» قال: «جبريل». قالوا: «ذلك عدوّنا». فقال عمر: «من كان عدوّاً لله وملائكته

عينة 120 صفحة من 340

ورسُله وجبريل وميكال فإن الله عدوّه». فلما سمع محمد بذلك قال: « هكذا نزلت»، وقال له: «لقد وافقك ربك يا عمر» (الطبري في تفسير البقرة ٩٧).

(١) كان من الأفضل أن يقول محمد إن عمر وافق ربّه، لا العكس.

(٢) من هذه الحادثة نرى أن محمدًا وأصحابه كانوا يلتقطون قصص الأنبياء وغيرها من أهل الكتاب، فقد كان عمر يقف عند حلقات اليهود يلتقط المعارف الدينية منهم.

(٣) قال ابن عباس: أقبل اليهود على محمد، فقالوا: «يا أبا القاسم، إنّا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهنّ عرفنا أنك نبي». فسألوه عما حرَّم إسرائيل على نفسه، وعن علامة النبي، وعن الرعد وصوته، وكيف تُذكّر المرأة وتُؤنَّث، وعمَّن يأتيه بخبر السماء، إلى أن قالوا: «فأخبرنا من صاحبك؟» قال: «جبريل». قالوا: «ذاك ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدوّنا. لو قلت ميكال الذي ينزل بالرحمة والنبات والقَطر لكان خيرًا». فقال: «من كان عدوّاً، إلى آخره» (سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن باب سورة الرعد آية ١٣).

وقد كان غرض اليهود من ذلك إرباكه والتهكم عليه، بأن يقول مرة إن الذي يأتيه بالوحي جبريل، ثم يغيّر قوله بأن يقول ميكائيل، وهكذا يدور بين نقضٍ وإثبات كما فعل في القِبلة.

عبارة عن 120 صفحة من 340

الباب الثاني

الفصل الأول

«في نزاهة الكتب المقدَّسة عن كلِّ ما يشين»

عينة 120 صفحة من 340

سلامة الكتب المقدَّسة من الاختلافات

قال المعترض: «الكتب المقدَّسة غير موحى بها من الله بسبعة عشر وجهًا.

أوَّلًا: إنَّه يوجد فيها الاختلافات المعنوية الكثيرة، وإن المفسِّرين قالوا إن إحدى العبارتين صادقة والأخرى كاذبة، إمَّا بسبب التحريف القصدي، أو بسبب سهو الكاتب. ووجَّهوا بعضها بتوجيهات ركيكة بشعة لا يقبلها الذوق السليم. وقد عرفت أكثر من مائة اختلاف».

وللردِّ نقول: إنَّ الكتب المقدَّسة منزَّهة عن الاختلاف والتناقض لأنَّها وحي الله الذي ليس عنده تغيير ولا ظلِّ دوران، فلا يثبت الله اليوم شيئًا ثم ينسخه غدًا. قال الله في كتابه: «كُلُّ ٱلْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ ٱللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَٱلتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَٱلتَّأْدِيبِ ٱلَّذِي فِي ٱلْبِرِّ» ٢تيموثاوس ٣: ١٦. ولا يُعقل أن من آمن بالله وباليوم الآخر يفتري على كتبه المقدَّسة ويصف

بعضها بالكذب أو الاختلاف، على أن من طالع الكتب المقدَّسة بروح التواضع للاستفادة، وطرح عنه رداء التعسُّف وجدها منزَّهة عن التشويش والاضطراب والاختلاف والتناقض، وتيقَّن من توافقها وتطابقها. وعندما يرى أنَّ أنبياء الله ظهروا في مدة ألف وستمائة سنة وفي بلاد مختلفة وقاصية عن بعضها البعض انذهل من وحدة غايتهم ومن توافق ديانتهم، ولم يسعه سوى الخضوع لكلامهم والاعتقاد بأنَّه وحي إلٰهي. فلو كان مصدر الكتب المقدَّسة من البشر لوجد فيها اختلافًا وتناقضًا، فالفلاسفة الذين درسوا في معهدٍ واحدٍ يناقض الواحد الآخر في مذهبه ومشربه، وكذلك المؤرِّخون والكُتَّاب ينقض الواحد ما يثبته الآخر، بخلاف كتب الوحي، فمثل العهد القديم والعهد الجديد كمثل الكاروبين (خروج ٢٥: ٢) وجهاهما كل واحد إلى الآخر، وأيضًا كان وجهاهما نحو الغطاء. فالأنبياء والرُّسل والحواريون استقوا من ينبوع واحدٍ، فلا عجب إذا لم يناقض الواحد الآخر في التعاليم والمبادئ والنبوَّات. لا ننكر أنَّهم اختلفوا في طُرُق التعبير والبيان إلَّا أنَّ الأخلاقيات والتعاليم والمبادئ واحدة، فأحد الأنبياء زاد شرحًا عن غيره، ولكن لا يوجد في أقوالهم أدنى تناقض. كلهم أجمعوا على فساد الطبيعة البشرية، وأنَّه لا يمكن مصالحتنا مع الله إلَّا بواسطة كفَّارة يسوع المسيح، وأنَّه لا يمكن العودة إلى حالة الطهارة والقداسة إلَّا بالروح القدس. فاتحادهم على هذه التعاليم من أقوى الأدلَّة على أن مصدر كلامهم هو العليم الحكيم. ولكن إذا أتى شخصٌ وشذَّ عنهم كان كاذبًا.

ثانيًا: لا يُعقل أنَّ أهل الكتاب يعمدون إلى تحريف كتبهم الإلٰهية مع تأكدهم بأن هذه الكتب هي مصدر غبطتهم وسعادتهم وراحتهم وامتيازاتهم. بل لو فعلوا ذلك لزجرهم الأنبياء الذين كانوا يظهرون من جيل إلى آخر في مدة ألف و٦٠٠ سنة. ولكن لم يفعل نبي، ذلك دلالة على حرصهم على المحافظة عليها.

عدد الصفحات 120 صفحة
340 صفحة

تناقض القرآن:

ولكن ماذا نقول في محمد الذي كان يناقض نفسه بنفسه، فكان يأمر بالشيء ثم ينهي عنه. كان يأمر بإظهار الرفق بالناس ثم يأمر بقتالهم، وهو الذي جعل قِبلته أوّلاً مثل قِبلة المشركين ثم جعلها نحو قِبلة اليهود ثم غيَّرها نحو قبلة المشركين. وهو الذي كان يمدح آلهة المشركين ثم يذمّها، ويحرِّم على نفسه بعض النساء ثم ينكث عهده. ولما رأى أنَّ أهل الكتاب والعرب وصفوه بالتقلُّب والتردُّد في أموره، تخلَّص من معارضتهم بأن وضع قانونًا في كتابه بأنَّ الاختلاف والتناقض جائز في الأفعال والأقوال، وعبَّر عنه بالنَّسخ، فقال: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾. هذا فضلاً عن المتناقضات المذكورة في القرآن والأحاديث ذكرنا منها أكثر من مائة تناقض - فالمتناقضات المذكورة في القرآن والأحاديث ليست قاصرة على المعاملات، بل تعمُّ العبادات. وقد ذكرنا أن غاية ما أجابوا به على ذلك هو تخفيف وتشديد، وهذا التفسير يستلزم أنَّ الله يأمر بأمرين متباينين وأنه ذو إرادتين ومشيئتين، وإنَّ له شريعتين. وحاشا لله من ذلك.

وقد قال: إنَّ المفسِّرين قالوا عن الكتاب المقدَّس إن فيه اختلافًا، وهو افتراء. أما نحن فذكرنا له أنَّ القرآن ذاته مسلم بوجود الاختلافات، بل ذلك هو ركن من أركان الإسلام. أما كتابنا المقدَّس فهو منزَّه عن هذه القاعدة العوجاء.

تنزّه الكتب المقدَّسة عن الخطأ:

وقال المعترض: «في الكتاب المقدَّس أغلاط كثيرة، وعرفت أكثر من مائة غلطة. والكلام الإلهامي بعيد بمراحل عن وقوع الغلط والاختلاف المعنوي».

وللردِّ نقول: لا يصحُّ الحُكم على شيء بالخطأ إلَّا بعد معرفة الصواب،

340 من 420 صفحة

فهل وجد خطأ في كيفية خلق الله للدنيا في ستة أيام، أو في خلق الإنسان، أو في تواريخ إبراهيم وأخنوخ ونوح ويوسف وموسى وبني إسرائيل وسائر الأنبياء؟ ألم يرَ أنَّ جميع علماء الدنيا اقتبسوا معلوماتهم عن هذه الأمور من هذا المصدر، والقرآن ذاته اقتطف طرفًا من هذه التواريخ وقال إنَّها من وحيه؟ أو هل رأى في هذه الكتب المقدَّسة أن نبيًّا من أنبياء الله مدح الأوثان وتقلَّب في الأديان؟ على أنَّه قد تقدَّم أن المائة غلطة التي افترى بها على الكتب المقدَّسة هي أوهام الكفرة، وتقدَّم دحضها وأوضحنا بالبرهان القطعي أن القرآن هو المشحون وحده بالأخطاء والخرافات كما ترى بالتفصيل في الجزء الثاني.

تنزُّه الكتب المقدَّسة عن التحريفات:

قال المعترض: «توجد في الكتاب المقدَّس تحريفات قصدية وغير قصدية في مواضع غير محصورة بحيث لا مجال للمسيحيين أن ينكروها، وظاهر أن المواضع المحرَّفة ليست بإلهامية عندهم يقينًا، وستقف على مائة موضع منها».

وللردِّ نقول: إنَّ جميع المسيحيين يعتقدون أنَّ كتبهم المقدَّسة هي بإلهام الروح القدس. قال الإنجيل: «لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ ٱللهِ ٱلْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ» (٢بطرس ١: ٢١). وإذا سردنا ما ورد في الكتاب المقدَّس من الآيات الباهرة الدالة على أن شريعة الله هي كاملة وإنَّها بإلهام الروح القدس، وجب أن نكتب مجلدين كبيرين. وعليك أن تنظر في مزمور ١١٩ الذى يشتمل على ١٧٦ آية جلّها في بيان كمال ناموس الله، وإنه بإلهام الروح القدس. فكل مسيحي يعتقد من صميم فؤاده أنَّ كتابه هو الوحي الإلٰهي، وإلَّا لما كان يتعبَّد بتلاوته أناء الليل وأطراف النهار.

صفحة من 340 عينة 120

وثانيًا: لا يجسر أحدٌ على أن يحذف شيئًا أو يزيد عليه شيئًا، وقد أنذر الله قائلًا: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَزِيدُ عَلَى هٰذَا، يَزِيدُ ٱللهُ عَلَيْهِ ٱلضَّرَبَاتِ ٱلْمَكْتُوبَةَ فِي هٰذَا ٱلْكِتَابِ. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْذِفُ مِنْ أَقْوَالِ كِتَابِ هٰذِهِ ٱلنُّبُوَّةِ، يَحْذِفُ ٱللهُ نَصِيبَهُ مِنْ سِفْرِ ٱلْحَيَاةِ، وَمِنَ ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمُقَدَّسَةِ، وَمِنَ ٱلْمَكْتُوبِ فِي هٰذَا ٱلْكِتَابِ» (رؤيا ٢٢: ١٨ - ١٩). فمن يقبل هذه الضربات وهو يعرف أنَّه لا يستفيد أدنى فائدة من عمله هذا؟ على أنَّ هذا العمل متعذِّر لأنه فُوِّض لِأَئِمَّة الدين الذين يُعَدُّون بعشرات الألوف المحافظة عليها، وهم يعرفون أنَّهم إذا حرَّفوا أو بدَّلوا سقطوا عن مقامهم وحُرِموا من امتيازاتهم.

أمَّا القرآن فهو بخلاف ذلك من وجوه عديدة، منها:

(١) إنَّ كاتبه كان رجلًا أميًّا لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وكثيرًا ما كان كاتبه يغيِّر أقواله ويبدِّلها.

(٢) إنَّه كُتِبَ مفرَّقًا في ٢٥ سنة، ولا بُدّ من ضياع جانب كبير منه.

(٣) إنَّه كُتِبَ في عسب وعلى العظام، والله أعلم كم ضاع وكم بقي منه.

(٤) إنَّه لم يكن في عصره رجال مخصَّصون لحفظ الكتب الإلٰهية.

وعلى هذا لما رأى عثمان بن عفَّان استفحال الشر، جمع ما جمعه، فزاد وحذف وحرَّف وبدَّل وغيَّر، وأحرق باقي المصاحف. فإنَّه كان لكثير من الصحابة مصاحف مختلفة كما تقدَّم، وبصرف النظر عن هذه العيوب فلا يجوز أن نقول إنَّ القرآن هو موحى به من الله لمخالفته طريقة الله التي وضعها من الأول.

الكتب المدسوسة:

قال المعترض: «إنَّ كتاب باروخ، وكتاب طوبيا، وكتاب يهوديت، وكتاب الحكمة، والكتاب الأول والثاني للمكابيين ليست موحى بها».

وللردِّ نقول: قد أوضحنا في الجزء الأول مشاغبة المعترض وأقمنا

عدد الصفحات 120 صفحة من 340

الأدلَّة والبراهين على صدق الكتب المقدَّسة التي استلمناها بالسند المتَّصل من أئمة اليهود والمسيحيين، وأوضحنا أنَّ البعض وضع كتبًا مدسوسة وذلك بعد انقطاع الوحي بأربعمائة سنة، وقلنا إنَّها كناية عن حوادث تاريخية وروايات فكاهية وحكم أدبية وهي أسفار طوبيا ويهوديت وكتب الحكمة وكتاب ابن سيراخ وتسبحة الثلاثة فتيان وقصة سوسنا وكتابا المكابيين، وأوضحنا أنَّ اليهود الذين هم أهل الكتاب لم يعرفوا هذه الكتب، وإنَّ المسيح يسوع المذخر فيه كل حكمة وعلم ووتلاميذه الذين لم يتكلَّموا إلَّا بإلهام الروح القدس لم يعتبروا هذه الكتب، ولم يذكرها المؤرخ يوسيفوس في جدول الكتب الموحى بها بل لم يذكرها أئمة الدين المسيحي إلَّا بعد الجيل الرابع. ولا تشبه كتب الأبوكريفا الكتب المقدَّسة في لغتها وفي نزاهتها، فليس عليها شيء من طلاوة الوحي.

الأحاديث المدسوسة:

فقيام هذه الكتب بنفسها واستقلالها عن غيرها وظهورها بعد ٤٠٠ سنة من بعد انقطاع الوحي لا يقدح في كتب الأنبياء. ومع أنَّها مدسوسة فهي ظاهرة للعيان لا يختلف فيها اثنان، وهذا بخلاف أحاديثهم، فترى الأحاديث الكاذبة بجانب الصادقة. ولا يخفى أنَّ الأحاديث التي هي في منزلة القرآن تنقسم إلى صادقة وإلى كاذبة، وضعها أصحاب العقول الضعيفة. وتقدَّم أنَّه يجوز أن يأخذوا حتى الأحاديث الصادقة من المصابين عقليًا ومن الصغار. وديانة اليهود والمسيحيين منزَّهة عن هذا.

سفر أَسْتِير

قال المعترض: «إن عشر آيات في الأصحاح العاشر وستة أصحاحات من الأصحاح ١١ إلى ١٦ من سفر أستِير ليست إلهامية».

وللردِّ نقول: أوضحنا أنَّ محمدًا اقتبس من هذا السفر بعض أشياء

عينة 120 صفحة من 340

ولكنه خلط وغلط، فأخذ اسم هامان وقال إنَّه كان وزير فرعون في مصر، مع أنَّه كان وزير أحشويروش في بابل! ويتضمن هذا السفر كيفية إنقاذ الله لبني إسرائيل من كيد أعدائهم. واليهود يحتفلون بهذه الحادثة لغاية يومنا، فهم محافظون عليه بغاية الحرص، ولا يوجد عندهم عشر آيات من (الأصحاح ١٠) ولا ستة أصحاحات من (١١ - ١٦) ولا شك أنَّهم هم الذين يُرجَع إليهم ويُعوَّل عليهم في حفظ كتبهم المقدَّسة وتواريخ حوادثهم العجيبة.

سفر دانيال

قال المعترض: «إن غناء الأطفال الثلاثة في (أصحاح ٣) من كتاب نبوَّة دانيال، و(أصحاح ١٣ و١٤) منه يعتقد بها الكاثوليك، وهي غير مسلَّمة عند البروتستانت واليهود».

وللردِّ نقول: (١) تقدَّم أن أصل نبوَّات دانيال باق على حاله لم يعترِه أدنى تبديل ولا تغيير، وإنَّ الترجمة اللاتينية ألحقت بعض هذه الأشياء الموضوعة، ولكن نبذها المحقِّقون لأن الأصل الذي يُرجَع إليه موجود عند اليهود. وإذا وضع إنسان زوانًا (أي تعاليم كاذبة) في وسط القمح، ظهر في الحال، لأن الزوان ظاهر من لونه وشكله.

(٢) إنَّ نُسَخ التوراة كانت منتشرة، فإذا تصرَّف مترجم في الترجمة انكشف أمره. ولنفرض أنَّ مترجمًا تصرَّف في ترجمة القرآن، فهل يُقال عن الأصل إنَّه محرَّف، والواجب رفض القرآن؟

سِفر عزرا:

قال المعترض: «السفر الثالث لعزرا هو جزء من العهد العتيق عند كنيسة كريك، وقد أوضح الكاثوليك والبروتستانت أنَّه ليس إلهاميًا».

عدد صفحات الكتاب 120 صفحة من 340

وللردِّ نقول: إنَّ أئمة اليهود كانوا يعتبرون سفريّ عزرا ونحميا سفرًا واحدًا، ويقولون عنهما سفر عزرا الأول وسفر عزرا الثاني. أما السفر الثالث لعزرا الذي أشار إليه المعترض فهو ذات سفر عزرا، فليس هو بسفر جديد. ولنضرب مثالاً يوضح ذلك فنقول: لا يخفى أنَّه ذُكِرَ في القرآن قصة آدم وحواء وغيرهما، فإذا أتى إنسان وجمع هذه القصص في كتاب، فهل يُقال عن هذا الكتاب إنَّه قرآن آخر؟ حاشا وكلا، فالسفر الثالث الذى أشار إليه المعترض هو ذات سفر عزرا، وإنَّما وضعه إنسان وأخذه من ذات سفر عزرا، وزاده شرحًا. فكما أنَّه لا يجوز أن نقول إنَّ أقوال المفسرين أو المؤرخين لقصص الأنبياء هي قرآن ثان، كذلك لا يجوز أن نقول إنَّ الكتاب الثالث لسفر عزرا هو سفر آخر، فإنه هو ذات سفر عزرا مفسَّراً.

سِفر القضاة:

قال المعترض: «اختلفوا في النبي الذى نزل عليه سفر القضاة. ثم أورد بعض آراء سقيمة، وضرب صفحًا عن القول الصحيح، فقال هورن: ذهب البعض إلى أنَّ هذا السفر نزل على فينحاس، وذهب البعض الآخر إلى أنَّه نزل على حزقيا أو إرميا أو حزقيال أو عزرا».

وللردِّ نقول: لقد حذف المعترض القول الصحيح، وهو أنَّ علماء اليهود والمسيحيين أجمعوا بعد التحقيق على الوحي به للنبي صموئيل، وهو آخر قضاة بني إسرائيل، وهو يشتمل على تاريخ قضاة بني إسرائيل مدة ٣٠٠ سنة، من موت يشوع إلى قيام عالي الكاهن. وفي هذه الأثناء أقام الله ثلاثة عشر قاضيًا لإنقاذ بني إسرائيل من جور أعدائهم، وعتقهم من الرق والعبودية، ومنح بعضهم قوة فوق العادة. وهذا السفر يوضح فوائد الهداية وأضرار الغواية، ونتائج الطغيان والعصيان والمروق عن الحق. فلما كان بنو إسرائيل يخطئون كان الله يؤدِّبهم. ولما يتوبون إليه يرحمهم بمراحمة

صفحة من 340 صفحة 120

العظمى. وكتب هذا التاريخ لإنذارنا وتحذيرنا عن المروق عن الحق، وهو يحقِّق صِدق إنذارات موسى التي أنذر بها بني إسرائيل. وقد أشار الرسول بولس إلى أولئك القضاة فذكر جدعون وباراق ويفتاح واقتطف مفسرو المسلمين ومؤرخوهم بعض الحقائق المدَّونة فيه.

وقد خلط القرآن أخبار سفر القضاة. فقد ورد في سورة (البقرة ٢:٢٤٩ - ٢٥١) ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي، وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي، إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ، فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا: لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ، قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلَاقُو ٱللَّهِ: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ، وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ. وَلَمَا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا: رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ. فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وكان قد ذكر قبل هذه الأقوال أنَّ الملا من بني إسرائيل طلبوا من نبيهم (يعني صموئيل) أن يولِّي عليهم ملكاً، فولَّى طالوت، وهو شاول. أما الاغتراف من النهر فكان مع جدعون أحد قضاة بني إسرائيل، ولم يكن مع طالوت، فإنَّه ورد في سفر القضاة أنَّ الله أخبر جدعون أنَّ كل من يلغ بلسانه من الماء كما يلغ الكلب يصرف النظر عنه، وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب. وكان عدد الذين ولغوا بيدهم إلى فمهم ثلاث مئة رجل، فانتصر جدعون بهؤلاء الثلاثمائة رجل على الألوف. وهذه النُّصرة مذكورة في سفر القضاة بفصاحة وبساطة تؤثر في الألباب، فخلطها القرآن بتاريخ صموئيل وشاول.

أمَّا قوله إن اليهود ينسبون رجمًا بالغيب نزول سفر القضاة إلى صموئيل النبي فكلامه كلام متعنِّت، لا يريد أن يقبل فضل الأمَّة اليهودية على العالمين، وشرفها بالمحافظة على هذه الكتب الإلٰهية، فكان قولهم هو الجدير بالاعتماد والاعتبار.

عدد الصفحات 120 من 340

سِفر راعوث:

قال المعترض: «كتاب راعوث ليس إلهاميًا، فيه اختلاف، فقال بعضهم إنَّه تصنيف حزقيا، وذهب البعض الآخر إلى أنَّه تصنيف عزرا، وقال اليهود وجمهور المسيحيين إنَّه تصنيف صموئيل».

وللردِّ نقول: إن المرجع في هذه الأمور إلى اليهود، فكلامهم هو المعوَّل عليه. ولا عِبرة بالقول السخيف، فإنَّ اليهود وجمهور المسيحيين قرَّروا بعد التحقيق أن كاتبه صموئيل النبي. وهذا السفر يشتمل على ما اشتهرت به راعوث من التقوى الحقيقية، وتعلُّقها بشعب الله، وترك وطنها وأصحابها وأقربائها وأنسبائها حبًّا في الإله الحي وديانته القويمة، ويتضمن مجازاة الله لها، فإنَّه وفَّق لها بالسعة والرخاء بعد الضيق والشدة ورقَّاها إلى أوج المجد فصار داود الملك من نسلها، بل المسيح الفادى الكريم، دلالة على قبول الأمم في كنيسة المسيح، وليوضح لنا أنَّه لا يخيب من يعتمد عليه، وأنه عزّ وجل ليس عنده محاباة، وإنَّه باسط يديه لليهودي والوثني.

أليس هذا التاريخ الجليل أنفع وألطف من الخرافات التي ذكرها محمد في قرآنه مثل حكايات بلقيس وأصحاب الكهف وأصحاب الناقة وغيرها من الخرافات الوهمية التي لا فائدة فيها؟ أما سِفر راعوث فيشتمل على تاريخ حقيقي حصل فعلاً وإن الله لم يترك من تمسَّك به.

سِفر نحميا:

قال المعترض: «كتاب نحميا على المذهب المختار ليس إلهاميًا، سيَّما ست وعشرون آية من أول (الأصحاح ١٢) من هذا الكتاب».

وللردِّ نقول: ذهب أثناسيوس وأبيفانيوس وذهبي الفم، من أئمة الدين المسيحي إلى أنَّه كان وحيًا لعزرا النبي، ولكن ثبت بعد التحقيق أنَّه كان وحيًا لنحميا، كما قال علماء اليهود. وإن ما ورد في (الأصحاح ١٢:

عينة 120 صفحة من 340

١ - ٢٦) من تسجيل أسماء بعض مشاهير اليهود دوَّنه أحد الأنبياء، لأن بعض هؤلاء الأشخاص كانوا في عصر دارا ملك الفُرس، وكان دارا بعد نحميا بمائة سنة. ولكن جرت عادة أنبياء الله أن يدرجوا في كتب من تقدَّمهم من الأنبياء ما يحدث في عصرهم لتمام الفائدة، وهذا السفر يدل على أنَّ نحميا كان من وجهاء قومه، وكان ذا يسار وثروة، فصرف ثروته في إعلاء شأن شعب الله، وبذل الهمة في إيقاظهم من نومهم، ونبَّههم إلى واجباتهم الدينية. وكما أن سفر راعوث يحكي عن الفقير الذي تمسَّك بالمولى سبحانه فأغناه، كذلك هذا السفر يحكي عن الغني الذي صرف ثروته وماله حبًّا في الله.

سِفر أيوب:

قال المعترض: «سِفر أيوب ليس إلهاميًا على قول البعض، وعلى قول من قال إنَّه تأليف رجل مجهول الاسم».

للردِّ نقول: نقتصر في الردِّ عليه بأنَّ قرآنه معترف بأنَّه إلهامي، فاقتبس من هذا السِفر قصة أيوب وذكرها في القرآن، فقال في سورة (ص ٣٨: ٤١ - ٤٤) ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ، ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ، وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ. وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ وأعاد هذا في سورة (الأنبياء ٢١: ٨٣ و٨٤). والقرآن ناطق بأنَّ أيوب هو نبي، ونزل عليه هذا الكتاب كما في سورة (النساء ٤ : ١٦٣) ولولا هذا السفر لما أمكن لمحمد أن يأتي بشيء قليل ولا كثير عن أيوب.[٤٣]

٤٣ - سوف يأتي الحديث بالتفصيل في الرد على شُبهات حول هذا السفر في الجزء الرابع من هذه السلسلة.

عبئة 120 صفحة من 340

سِفر الأمثال:

قال المعترض: «الأصحاح الثلاثون والأصحاح الحادي والثلاثون من سفر أمثال سليمان ليسا بإلهاميين»

للردِّ نقول: تقدَّم دحض هذه الفرية ومع ذلك نقول: افتتح الأصحاح الثلاثون بالقول: «كَلاَمُ أَجُورَ ٱبْنِ مُتَّقِيَةِ مَسَّا. وَحْيُ هٰذَا ٱلرَّجُلِ إِلَى إِيثِيئِيلَ، إِلَى إِيثِيئِيلَ وَأُكَّالَ» فهذا ناطق بأنَّ الأصحاح الثلاثين نطق به بوحي وإلهام. وذهب البعض إلى أن المراد بلفظة «مُتَّقِيَةِ مَسَّا» داود بن يسَّى، والمراد بلفظة «أَجُورَ» هو سليمان، وذهب البعض الآخر إلى غير ذلك. وعلى كل حال فهذا الأصحاح هو بإلهام إلٰهي، ومن تأمَّل في الحِكم الإلٰهية الموجودة فيه لم يسعه سوى الإقرار بأنَّه وحي الحكيم العليم. وكذلك الأصحاح الحادي والثلاثون افتتح بالقول: «كَلاَمُ لَمُوئِيلَ مَلِكِ مَسَّا» وذهب البعض إلى أن لَمُوئِيلَ هو لقب لسيدنا سليمان، فهو وحي إلٰهي، وذهب البعض إلى غير ذلك، وفيه وصف المرأة الفاضلة بحيث لو اجتمع علماء الدنيا في الشرق والغرب والشمال والجنوب لما قدروا أن يأتوا بمثل هذا الوصف البديع. فالأدلَّة الخارجية والداخلية تدل على أن هذا السِفر هو وحي إلٰهي.

سِفر الجامعة ونشيد الأنشاد:

قال المعترض: «سفر الجامعة على قول تلمودين ليس إلهاميًا، وكذلك وكتاب نشيد الأنشاد».

للردِّ نقول: إنَّ سفرا الجامعة ونشيد الأنشاد هما للنبي سليمان، وقد ظهر المولى سبحانه له مرتين كما في (١ملوك ٣: ٥، ٩: ٢، ١١: ٩) فنطق بهذين السفرين بوحي الروح القدس، وأوضح في سفر الجامعة زوال العالم وفناءَه، وعدم بقاء المتع الدنيوية فقال: إنِّي كنت ملكاً وتمتعت بكل شيء فوجدت كل شيء بَاطِلُ ٱلأَبَاطِيلِ، ٱلْكُلُّ بَاطِلٌ، ٱلْكُلُّ بَاطِلٌ وَقَبْضُ ٱلرِّيحِ، وإنَّ

عينة 120 صفحة من 340

التقوى ومخافة الله هي أبقى وأجدى. وأما سفر نشيد الأنشاد فيشتمل على تشبيهات واستعارات للإعراب عن النسب بين المولى سبحانه وبين شعبه، وقرَّب لعقولنا الحقائق الإلهية بالصور المحسوسة المشاهدة. فنسب إلى ذاته الكريمة الميول والعواطف البشرية. وورد في القرآن قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ ونسب إلى ذاته صفة الغضب، كغضب الله عليها وصفة الرضا في قوله: «رضي الله عنهم» وتقدَّم الكلام مستوفيًا. فقوله: «إنَّ تلمودي يقول ليس إلهاميًا» هو افتراء. فجميع اليهود يعتقدون بأنَّ هذين السفرين هما من الكتب الموحى بها ويتعبَّدون بتلاوتهما.

سِفر إشعياء:

قال المعترض: «سبعة وعشرون أصحاحًا من سفر إشعياء ليس إلهامية على قول الفاضل استاهلن الألماني»

للردِّ نقول: إنَّ جميع اليهود والمسيحيين أجمعوا على أنَّ نبوَّات إشعياء بتمامها هي وحي إلهي. إلى أن قام في أواخر سنة ١٨٠٠م بعض الملحدين الذين لا يؤمنون بوحي ولا إلهام وينكرون النبوَّة مطلقًا. ولما رأوا أنَّ السبعة وعشرين أصحاحًا تتضمن نبوَّات عن الأمم الوثنية، وعن إنقاذ بني إسرائيل بواسطة كورش وعما يحصل لهم من المجد الباذخ والفداء بواسطة المسيح، وغير ذلك من الحوادث المستقبلة التي أنجزها الله كما قال النبي، انذهلوا وأنكروا النبوَّة. فقام معاصروهم ودحضوا مقالهم.

وبصرف النظر عن ذلك فلُغة السبعة وعشرين أصحاحًا هي مثل لغة باقي نبوَّات إشعياء، فتشبيهاته واستعاراته ومجازاته وعباراته هي واحدة، فاختص باستعمال الاستعارات من العالم النباتي كالتشبيه بأشجار السرو والبلوط، وبمخاض الوالدة. فالملحدون غضُّوا الطرف عن الأدلَّة الداخلية وهي وحدة العبارات، وذهبوا إلى أن السبعة وعشرين أصحاحًا من نبوَّاته

عدد الصفحات 120 من 340

ليست منه، لأنها تشتمل على نبوَّات صادقة بهرت عقولهم. ونحن نتعجب من المعترض، وهو يطلق على استاهلن الألماني أنَّه من الأفاضل ليوهم السُّذَّج أنَّه من المتقين، وليس من الملحدين.

وماذا يقول هذا المعترض المتعنِّت إذا أوردنا له قول عيسى بن صبيح، المكني بأبي موسى، الملقب بالمزدار، الذي ذهب إلى أنَّ الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظمًا وبلاغة، وهو الذي بالغ في القول بخلق القرآن وكفَّر من قال بقدمه؟ وماذا يقول في أصحاب إبراهيم بن سيار النظام الذي قال: «إن العرب كانوا قادرين أن يأتوا بمثل القرآن لكن الله صرفهم»، واشتهر بالوقيعة في كبار الصحابة، وقال إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الحسن من بطنها، وكان يصيح: «أحرِقوها بمن فيها». وما كان في الدار غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين - فهل نقتبس أقوال هؤلاء على أنَّها أقوال أفاضل؟

إنجيل متَّى:

قال المعترض: «إن إنجيل متَّى -على قول جمهور من العلماء- كان باللسان العبراني، وفُقِدَ بسبب تحريف الفِرَق المسيحية. والموجود الآن ترجمته ليس إلهاميًا، وإنه لم يُعلَم اسم هذا المترجِم».

وللردِّ نقول: إنَّ وحي إنجيل متَّى كان باللغة اليونانية:

(١) لأنَّ اللغة اليونانية كانت اللغة المتداولة في عصر المسيح ورسله. ولما كانت غاية المولى سبحانه إعلان مشيئته وإرادته كان لا يُعقل أن يوحي بلغة غير متداولة لئلَّا تضيع الفائدة المقصودة.

(٢) إنَّ متَّى كان عشَّارًا قبل دعوته للرسالة، فكان متضلِّعًا في اللغة اليونانية، لأنَّه لا يمكن أن يؤدِّي واجبات هذه الوظيفة بدون معرفة اللغة اليونانية.

صفحة من 340 عينة 120

(٣) إنَّ جميع الرُّسل والحواريين كتبوا الأناجيل والرسائل باللغة اليونانية للمسيحيين، سواء كانوا من اليهود أو الأمم، وعلى هذا القياس جاء وحي إنجيل متَّى باللغة اليونانية.

(٤) يوجد توافق في كثير من عباراته وعبارات باقي الأناجيل، ولو جاء بغير هذه اللغة لما وُجِدَ هذا التوافق.

والأغلب أنَّ فكرة كتابة متَّى لإنجيله باللغة العبرية جاءت نتيجة ما اقتبسه المؤرِّخ يوسابيوس عن بابياس أسقف هيرابوليس سنة ١١٦م قال: «إنَّ متَّى كتب إنجيله باللغة العبرية». غير أن بابياس لم يقل إنَّه رأى بعينيه هذا الإنجيل باللغة العبرية، بل: «كان إنجيل متَّى متداولاً بين الناس باللغة اليونانية قبل عصره». فقولهم إنَّه كُتِبَ باللغة العبرية مجرد ظن وتخمين، بخلاف البيِّنات الدالة على أنَّه كُتِبَ باللغة اليونانية. ومن تتبَّع العبارات التي استشهد بها من كتب العهد القديم يرى أنَّها مأخوذة من الترجمة السبعينية، أي من اللغة اليونانية. فلو كان كُتِبَ باللغة العبرية لَجاءَت الآيات الواردة فيه من التوراة العبرية. ولو سلَّمنا جدلاً أنَّ هذا الانجيل كان باللغة العبرية لقُلنا إنَّ الرسول كتبه باللغة اليونانية أيضًا، فكان موجودًا باللغة اليونانية والعبرية معًا. والمؤرخ يوسيفوس كتب حروب اليهود باللغة العبرية واللغة اليونانية معًا، لتعم الفائدة. وعلى كل حال فقد كان هذا الإنجيل متداولاً بين المسيحيين في الجيل الأول بعد المسيح.

وعلى هذا نسأل: ما هو العيب أن يكون إنجيل متَّى قد كُتِبَ بالعبرية ثم تُرجِم إلى اليونانية؟ إن الكتب المقدَّسة الموحى بها من الله لا تضيع معانيها وطلاوتها إذا تُرجِمَت إلى اللغات الأخرى.

وقال إيريناوس في سنة ١٧٨م إنَّ متَّى نشر أيضًا إنجيلاً بين العبرانيين بلغتهم، وهذه العبارة تفيد أنَّه زيادة على إنجيله باللغة اليونانية، نشر هذا الإنجيل بالعبري لإفادة العبرانيين، فإنجيله كُتِبَ باللغة اليونانية.

عينة 120 صفحة من 340

الشهادة الثالثة: قول أوريجانوس في سنة ٢٣٠م: «بلغني من التقاليد المأثورة عن الأربعة الأناجيل التي يتمسَّك بعروتها الوثقى جميع كنيسة الله تحت السماء، أنَّ الإنجيل الأول وحي لمتَّى الذى كان عشَّارًا وبعد ذلك صار رسولاً ليسوع المسيح، الذي نشره للمؤمنين في اليهودية بأحرف عبرية». فهذه الشهادة تدل على أنَّ إنجيله كان باللغة اليونانية لإفادة جميع المسيحيين، ثم نشره بالعبري لإفادة اليهود.

فينتج مما تقدَّم أن إنجيل متَّى كُتِبَ باللغة اليونانية. على أنَّه لا مانع أن يكون قد كُتِبَ بالعبرية، ثم تُرجِمَ لليونانية، فهذا لا يضرُّ الوحي بشيء. فالكتب المقدَّسة ليست كالقرآن الذي إذا تُرجِمَ إلى لغة ما كان غثًّا باردًا وضاعت طلاوته، بل كان مجردًا عن المعاني لأنَّه مقطَّع، أمَّا كتب الوحي الصحيحة فلا تضيع طلاوتها وحلاوتها إذا تُرجِمَت إلى اللغات الأخرى.

إنجيل يوحنا ورسائله:

قال المعترض: «إنجيل يوحنا على قول إستائدلن والمحقِّق (برطشنيدر) ليس إلهاميًا، والباب الأخير منه على قول المحقق (كروتيس) ليست إلهاميًا، وجميع رسائل يوحنا ليست إلهامية في رأي فرقة الوجين».

وللردِّ نقول: أولًا: بما أنَّ دأب المعترض نقل جزء من الكلام وحذف باقيهِ فلنورد نَص العبارة التي نقل منها عبارته المختلة فنقول: قال هورن: جميع المسيحيين على اختلافهم وتشعبّهم يتمسَّكون بعروة هذا الإنجيل الوثقى، ويعتقدون أنَّه وحي إلٰهي. والأدلَّة على صحته داخلية وخارجية، فالأدلَّة الداخلية هي أنَّه ورد في هذا الإنجيل أنَّ الذي كتبه كان مشاهِدًا بعينه الحوادث المذكورة، والمشاهد بالعيان لا يحتاج إلى برهان، وعليه فلا يمكن أن يكون كتبه أحد المسيحيين بعد يوحنا، لأنَّ هذا يخالف جميع البينات والبراهين القاطعة. أما البرهان الخارجي فهو شهادة قدماء أئمَّة

عينة 120 صفحة من 340

الدين المسيحي المتَّصلة الخلف إلى السلف بلا انقطاع فتكلَّم على هذا الإنجيل إكليمندس روما وبرنابا وتكلَّم عليه أربع مرات أغناطيوس أسقف أنطاكية الذي كان تلميذاً للرسول يوحنا ورأى كثيرين من الرسل وحادثهم. وكذلك تمسَّك بعروته الوثقى يوستين الشهيد وتاتيان وكنائس ويانة وليون وإيريناوس وأثينا غوروس وتيوفيلس أسقف أنطاكية وإكليمندس الإسكندري وترتوليان وأمونيوس وأوريجانوس ويوسابيوس وأبيفانيوس وأوغسطينوس وفم الذهب، وبالاختصار سلَّمه الأئمة من جيل إلى آخر. وقيل إن الألوجي أو الألوجيان وهي طائفة وجدت في الجيل الثاني رفضت هذا الإنجيل ورسائل يوحنا، ولكن لم نعرف عنها شيئًا يعتمد عليه، فإنَّ إيريناوس ويوسابيوس وغيرهما من المؤلفين الذين كانوا قبلهما لم يأتوا لهم بذكر.

ومما يذهل العقلاء ويفضي إلى التعجُّب هو أنَّه مع هذه الأدلَّة القاطعة على صحة إنجيل يوحنا يتوهَّم برطشنيدر أن أحد المسيحيين في الجيل الأول أو الثاني كتب إنجيل يوحنا ورسائله بعد موته، ومن الغرائب أنَّه مع هذه الأدلَّة التي هي في سماء اليقين كالأنوار الباهرة يتوهَّم جروتيوس بأن كنيسة أفسس ألحقت الأصحاح الحادي والعشرين بإنجيله ويكذِّبه أنَّه لا توجد نسخة في الدنيا بحذافيرها بدون الأصحاح الحادي والعشرين!

وثانيًا: إنَّ هذا الإنجيل كان متداولاً في عصر يوحنا كما هو، ولم يشك أحد من المسيحيين الأولين في صحته.

وثالثًا: إنَّ عبارات هذا الأصحاح ولغته هي مثل باقي عبارات هذا الإنجيل، وهذه الأدلَّة تصدق أيضًا على رسائل يوحنا.

فيتضح من ذلك أنَّ المعترض استند على كلام واهٍ، وصرف النظر عن البيِّنات والبراهين الدالة على أنَّه وحي إلهي ليوحنا بالسند المتَّصل غير

عبارة عن 120 صفحة من 340

المنقطع. وقد راجع كريسباخ أكثر من ثمانين نسخة من النسخ القديمة، فرأى أنَّها مثل النسخة المتداولة بيننا، بدون زيادة ولا نقصان. فترك المعترض جميع هذه البيِّنات وتمسَّك بقول سقيم. وماذا يقول المعترض إذا أوردنا له مذهب الغرابية الذين قالوا: «محمد بعليّ أشبه من الغراب بالغراب والذباب بالذباب» فبعث الله جبريل إلى عليّ فغلط جبريل في تبليغ الرسالة من عليّ إلى محمد. وماذا يقول في العجاردة الذين ينكرون أنَّ سورة يوسف من القرآن؟ فاعتراضات المعترض هي شبيهة بأقوال الغرابية ومن نحا نحوهم وشبيهة بأقوال العجاردة.

رسالة بطرس الثانية:

ادَّعى المعترض أنَّ رسالة بطرس الثانية غير موحى بها، والحقيقة هي أنَّ أئمة الدين المسيحي الأوائل استشهدوا بها في مؤلفاتهم. فاستشهد أكليمندس بالأصحاح الثاني والأصحاح الثالث جملة مرار في مؤلفاته، وكذا استشهد بها هرس ويوستين وأثيناغورس وغيرهم من الآباء الأجلاء وسلَّمها السلف للخلف من جيل إلى آخر بالسند المتَّصل إلى أن وصلت إلينا. وتقدَّمت البراهين على أنَّها وحي إلهي بالبينات الداخلية والخارجية في (الجزء الأول، الباب الثاني، الفصل العاشر) وتقدَّمت البينات على أن رساله يهوذا ورسالة يعقوب والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ورؤيا يوحنا أيضًا هي وحي إلهي واستوفينا الكلام عليها بالتفصيل في الجزء الأول، الباب الثاني، الفصل العاشر والحادي عشر.

340 صفحة من 120 صفحة

الفصل الثاني

في أنَّ جميع الكتب المقدَّسة موحى بها من الروح القدس

عينة 120 صفحة من 340

الكتب الموحى بها

قال المعترض: «إنَّ هورن قال في تفسيره: «إن سلَّمنا أن بعض كتب الأنبياء فُقِدَت، قلنا إنَّ هذه الكتب لم تكن موحى بها». وأثبت أوجستين بالدليل القوي هذا الأمر وقال: وجد ذكر كثير من الأشياء في كتب تواريخ ملوك يهوذا وإسرائيل ولم تبيّن هذه الأشياء فيها، بل أُحيل بيانها إلى كتب الأنبياء الآخرين، وفي بعض المواضع ذكر أسماء هؤلاء الأنبياء ولا توجد هذه الكتب من ضمن الكتب التي تتمسك بها كنيسة الله. فإنَّ الأنبياء الذين يلهمهم الروح القدس الأشياء العظيمة في المذهب تحريرهم على قسمين، قسم على طريقة المؤرخين المتدينين يعني بلا إلهام، وقسم بالإلهام. وبين القسمين فرق بأنَّ الأول منسوب إليهم والثاني إلى الله. والمقصود من الأول زيادة علمنا ومن الثاني سند المِلَّة والشريعة.

ثم قال في صحيفة ١٣٣ من المجلد الأول سبب ضياع سفر «حروب الرب» الذي ذُكِر في سفر العدد ٢١: ١٤ هو أن هذا الكتاب كتبه موسى بأمر الله بعد أن كسر عماليق على طريق التذكرة ليشوع، وكان يشتمل على بيان حال هذا الظفر وعلى بيان التدابير للحروب المستقبلة ولم يكن إلهاميًا ولا جزءًا من الكتب القانونية.»

وللردِّ نقول: إنَّ الأنبياء هم أناس أرسلهم الله إلى شعبه لإرشادهم إلى

الحق اليقين وهدايتهم إلى الصراط المستقيم. فكانوا حِصنًا منيعًا من إلحاد الملوك والأمراء، وواقيًا لشر الفجار. وكانوا قدوة حسنة للكبير والصغير، فإنَّهم كانوا شهودًا للمولى سبحانه وآثارًا حية دالة على إرادته ومشيته. وكان بعض الأنبياء يبلِّغ نبوَّاته بالنطق بها جهرًا على رؤوس الأشهاد. قال الله على فم إشعياء النبي: «نَادِ بِصَوْتٍ عَالٍ. لَا تُمْسِكْ. اِرْفَعْ صَوْتَكَ كَبُوقٍ وَأَخْبِرْ شَعْبِي بِتَعَدِّيهِمْ، وَبَيْتَ يَعْقُوبَ بِخَطَايَاهُمْ» (إشعياء ٥٨: ١) وأحيانًا كانوا يعلِّقون نبوَّاتهم في باب الهيكل، قال الله لإرميا «قِفْ فِي بَابِ بَيْتِ ٱلرَّبِّ وَنَادِ هُنَاكَ بِهٰذِهِ ٱلْكَلِمَةِ وَقُلْ: اِسْمَعُوا كَلِمَةَ ٱلرَّبِّ يَا جَمِيعَ يَهُوذَا ٱلدَّاخِلِينَ فِي هٰذِهِ ٱلْأَبْوَابِ لِتَسْجُدُوا لِلرَّبِّ» (إرميا ٧: ٢) ولهم طرق أخرى لإيقاظ الناس من غفلتهم وتنبيههم إلى واجباتهم وتحذيرهم من عواقب آثامهم الوخيمة. وكانوا يضعون نبوَّاتهم في الهيكل لحفظها (١صموئيل ١٠: ٢٥) فإذا قام إنسانٌ وحاول تغيير عبادة الله عُدَّ مزوِّرًا، وكذلك إذا تنبَّأ بشيء ولم يتم قُتِل قتلاً كما في (تثنية ١٨: ٢٠ - ٢٢) ويلزم أن يكون النبي تقيًّا خائف الله سليم الفطرة والفكرة ليستأمنه المولى على أقواله وليوحي إليه إرادته ومشيئته و يأمره بأن يبلِّغها للورى فيسمع طائعًا.

فكان الأنبياء يبلِّغون ما أُمروا بتبليغه لهم، وكان الناس يطالعون نبوَّاتهم وتعاليمهم ويتعبَّدون بتلاوتها في معابدهم ومساكنهم ويضعون نسخة من هذه النبوَّات أو التعاليم في الهيكل أمام الله للحرص عليها ولكي يتم المكتوب فيها. وكانت الأنبياء معصومين في هذه البلاغات الإلهية لأنَّهم لم يكونوا سوى آلة في يد المولى الذي أيَّد هذه البلاغات بالمعجزات الباهرة التي أجراها على أيديهم. أمَّا إذا ألَّفوا كتابًا خاصة مبنيًا على التقوى ولكنه لم يكن بوحي إلهي فلا يجوز التعبُّد به، لأنَّ الله سبحانه لم يأمرهم بتبليغه للورى! فسواء وُجِدَ أو فُقِدَ كان على حدّ سواء ما دام الينبوع الصافي الذي ترتوي منه وهو الكتب الإلهية موجودًا.

340 من 120 صفحة

فينتج من هذا أنَّ الكتب التي أُمِرُوا بتبليغها كانت:

(١) بوحي إلٰهي.

(٢) إنها كانت مؤيَّدة بالمعجزات.

(٣) إنَّها أنباء عن حوادث مستقبلة.

(٤) إن الناس كانوا يتعبَّدون بتلاوتها.

(٥) إنَّها كانت محفوظة في بيت الله.

(٦) إنَّها كانت منزَّهة عن الخطأ والسهو والنسيان. أمَّا الكتب غير الموحى بها فلم تكن كذلك، فهي مجرد تأليف بشري.

عينة 120 صفحة من 340

نسيان محمد في البلاغات

وقس على ذلك البلاغات التي لم يُؤمَروا بتبليغها يجوز أن يطرأ عليها والخطأ في البلاغات. وأجمع المسلمون على عدم امتناع وقوع النسيان من الأنبياء، قال محمد: «إنَّما أنا بشرٌ مثلكم، أنسى كما تنسون» فمع أنَّه حشر نفسه من زمرة الأنبياء إلَّا أنَّه اعترف بأنَّه ينسى كباقي الناس! والذي نعتقده امتناع السهو والنسيان في الأقوال البلاغية، ولكن محمد وقع في السهو والنسيان في البلاغات المختصة بالمعاملات والعبادات، فمن ذلك قوله في سورة التوبة ٩: ٤٣ ﴿عَفَا ٱللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ قال المفسِّرون: «اثنتان فعلهما محمد لم يُؤمَر بشيء فيهما: إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من أسارى بدر». وكذلك ورد في سورة الأنفال ٨: ٦٨ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ إلخ وكذلك ورد قوله في سورة التحريم ٦٦: ١ ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ ٱللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ وكذلك ورد في سورة الأحزاب ٣٣: ٣٧ ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ وغير ذلك. وكذا نسيانه في الصلاة فقام من ركعتين وسلَّم حتى قالوا له: «أقصَّرت الصلاة أم نسيتَ يا رسول الله؟ فلا يجوز الاتِّكان على مثله في البلاغات ولا في غيرها، فإنَّ الواجب أن يكون النبي

معصومًا في بلاغاته. ومما يشبه السهو والنسيان التعارض بين أقوال محمد وبين أفعاله، وذلك كان يقول على صوم عاشوراء في كل سنة ثم أفطر، وهذا ينقسم إلى نحو ستين قسمًا أضربنا عن ذكره لئلَّا يملَّ المطالع.

مزاح محمد:

وقد كان محمدٌ يمزح مع أصحابه، فهل يظنُّ المعترض أنَّ مزاحه مثل الأقوال التي ادَّعى أنَّها وحي؟! لا يقول أحدٌ بذلك. فقال بعض الصحابة: «ما رأيتُ أحدًا أكثر مزاحًا من محمد». وعن ابن عباس: كانت فيه دعابة. قال لعمته صفيَّة لا تدخل الجنة عجوز، فبكت. فقال لها وهو يضحك: الله تعالى يقول إنَّا أنشأناهن انشاء، فجعلناهن أبكارًا عربًا أترابًا، وهن العجائز الرمص أي والعروب المتحبة لزوجها التي تقول وتفعل ما تهيج شهوته إياها، وأترابًا كأنهن ولدن في يوم واحد لأنَّهن يكن بنات ثلاث وثلاثين سنة.

وجاءه رجل وطلب أن يحمله على بعير، فقال إني حاملكَ على ولدِ ناقةٍ. فقال: يا رسولَ اللهِ ما أصنعُ بولدِ الناقةِ؟ فقال محمد: وهل تلدُ الإبلُ إلَّا النوقَ؟

وقد أتى زاهر وكان كلَّما قدم من البادية يأتي معه بطرف وهدية لمحمد، فيجهزه محمد إذا أراد أن يخرج، ويقول: «إن زاهرًا باديتنا ونحن حاضروه». وكان محمد يحبَّه جاءه يومًا وهو يبيع متاعه في السوق، وكان رجلاً دميمًا فاحتضنه من خلفه فقال: «أرسلني! من هذا؟». فلما عرف أنَّه محمد صار يمكِّن ظهره من صدره، وجعل محمد يقول: «من يشتري العبد؟» فقال يا رسول الله تجدني كاسدًا، فقال: أنت عند الله غالٍ.

وتقدَّم أنه كان يسابق عائشة، وعن أنس قال: دخل محمد على أمي فوجد أخي أبا عمير حزينًا، فقال: يا أم سليم ما بال أبي عمير حزينًا؟ فقالت: مات نغيره تعني طيرًا كان يلعب به. فقال: «يا أبا عمير ما فعل

عينة 120 صفحة من 340

التغير؟» وكان كلما رآه قال له ذلك. وعن عائشة قالت أتيت محمدًا بحريرة طبختها فقلت لسودة ومحمد بيني وبينها «كلي» فأت فقلت لها: «كلي كلي أو لأُلَطِّخنَّ وجهك» قأبت. فوضعت يدي فيها فطليت وجهها فضحك محمد وأرخى فخذه لسودة وقال: الطخي وجهها. فلطخت وجهي، فضحك محمد وغير ذلك كثير.

فماذا يقول المعترض في مثل هذه الأقوال والأفعال؟ أيعدّها وحيًا أم كيف؟ إنَّ أنبياء الله منزَّهون عن مثل هذه الأضحوكات، ألا يرى أن تدوينهم البعض تواريخ عادية بدون وحي إلهي هو أنفع وألطف من مثل هذه الأعمال والأفعال المضحكة؟ ومما يجب التنبيه عليه هو أنَّ علماء المسلمين خصُّوا محمدًا بأمور لا يجوز أن يشركه فيها غيره ومع أن ذلك غير جائز لأن الواجب أن يكون النبي قدوة حسنة إلَّا أنَّهم خصُّوه بأمور لا يجوز الاقتداء بها: (١) اختصَّ بزيادته في النكاح على أربع نسوة واختصَّ بقبول كل امرأة تهب نفسها له فهذا خاص به لا يشاركه فيه غيره. (٢) ما كان من أفعاله بيانًا كقطعه يد السارق من الكوع بيانًا لمحل القطع في آية السرقة. قال في جمع الجوامع روي بإسناد حسن أنَّ محمدًا قطع سارقًا من المفصل فليس في ذلك تأسٍ ولا به اقتداء، فجوَّزوا أن يقع من النبي أمور لا تتعلق بها أمر باتِّباع ولا نهي عن مخالفة.

والمقصود من هذا هو أن نوضِّح للمطالع أنَّ ما أمر النبي بتبليغه شيء وما لم يؤمَر بتبليغه شي آخر، فيجوز للنبي أن يكتب كتبًا غير موحى بها، فلا يحضُّ على حفظها كالكتب الموحى بها وهو أمين في بلاغه.

أقوال علماء المسلمين في بلاغات الرُّسل:

قال العقباوي في شرح عقيدة الدردير: ويجب للرسل تبليغ ما أُمروا بتبليغه للخلق من الأحكام، أما الذي أمرهم الله بعدم تبليغه فلا يجوز تبليغه.

عينة 120 صفحة من 340

وما خيَّرهم فيه فيجوز. فالقسم الأول واجب عليهم تبليغه بخلاف الثاني فحرام، والثالث جائز، وقال الشيخ الباجوري على متن السنوسية يجب في حق الرسل الصدق والأمانة وتبليغ ما أُمِروا بتبليغه للخلق، ويجب عليهم كتمان ما أُمروا بكتمانه ولا يجب عليهم تبليغ ما خيروا فيه. فالأقسام ثلاثة ما أمروا بتبليغه، وما أمروا بكتمانه، وما خُيِّروا فيه، وهو مثل أقوالنا.

كتابة النبي حسب طبعه:

قال المعترض: «إنَّ هورن قال: إذا قيل إنَّ الكتب المقدَّسة أوحيت من جانب الله فلا يُراد أنَّ كل لفظ أو العبارة كلّها من إلهام الله، بل يعلم من اختلاف محاورة المصنِّفين واختلاف بيانهم أنَّهم كانوا مجازين أن يكتبوا على حسب طبائعهم وعادتهم وفهومهم، واستعمل عِلْم الإلهام على طريق استعمال العلوم الرسمية ولا يتخيل أنَّهم كانوا يلهمون في كل أمر يبينونه أو كل حكم يحكمون به.. انتهى. ملخصًا ثم قال هذا الأمر محقق أن مصنِّفي تواريخ العهد العتيق كانوا يلهمون في بعض الأوقات».

وللردِّ نقول: يعتقد جميع المسيحيين هو أن الكتاب المقدَّس كُتِب لا بأقوال تعلِّمها حكمة إنسانية، بل بما يعلِّمه الروح القدس. ولذا تُسمَّى «كلمة الله» أو «أقوال الله» (رومية ٣: ٢) و«أقوال الله الحية» و«صوت الله» و«الكتب المقدَّسة» قال الرسول بولس «كُلُّ ٱلْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ ٱللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَٱلتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَٱلتَّأْدِيبِ ٱلَّذِي فِي ٱلْبِرِّ» (٢تيموثاوس ٣: ١٦)، وقال الله لموسى: «وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَأُعَلِّمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ» (خروج ٤: ١٢)، وقال النبي داود عن نفسه «رُوحُ ٱلرَّبِّ تَكَلَّمَ بِي وَكَلِمَتُهُ عَلَى لِسَانِي» (٢صموئيل ٢٣: ٢)، وقال الله الحزقيال النبي «وَقَالَ لِي: «يَا ٱبْنَ آدَمَ، أَنَا مُرْسِلُكَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِلَى أُمَّةٍ مُتَمَرِّدَةٍ قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَيَّ. هُمْ وَآبَاؤُهُمْ عَصَوْا عَلَيَّ إِلَى ذَاتِ هٰذَا ٱلْيَوْمِ. وَٱلْبَنُونَ ٱلْقُسَاةُ ٱلْوُجُوهِ وَٱلصِّلَابُ ٱلْقُلُوبِ،

عينة 120 صفحة من 340

أَنَا مُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ. فَتَقُولُ لَهُمْ: هٰكَذَا قَالَ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ. وَهُمْ إِنْ سَمِعُوا وَإِنِ ٱمْتَنَعُوا، لِأَنَّهُمْ بَيْتٌ مُتَمَرِّدٌ، فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ نَبِيًّا كَانَ بَيْنَهُمْ. أَمَّا أَنْتَ يَا ٱبْنَ آدَمَ فَلَا تَخَفْ مِنْهُمْ، وَمِنْ كَلَامِهِمْ لَا تَخَفْ، لِأَنَّهُمْ قَرِيسٌ وَسُلَّاءٌ لَدَيْكَ، وَأَنْتَ سَاكِنٌ بَيْنَ ٱلْعَقَارِبِ. مِنْ كَلَامِهِمْ لَا تَخَفْ وَمِنْ وُجُوهِهِمْ لَا تَرْتَعِبْ، لِأَنَّهُمْ بَيْتٌ مُتَمَرِّدٌ. وَتَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ بِكَلَامِي، إِنْ سَمِعُوا وَإِنِ ٱمْتَنَعُوا، لِأَنَّهُمْ مُتَمَرِّدُونَ» (حزقيال ٢: ٣ - ٧). وقال الرسول بولس في ٢كورنثوس ١٣: ٣ «ٱلْمَسِيحِ ٱلْمُتَكَلِّمِ فِيَّ»، وفي ١كورنثوس ٢: ١٣ «ٱلَّتِي نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضًا، لَا بِأَقْوَالٍ تُعَلِّمُهَا حِكْمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ، بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ ٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ»، وفي ١تسالونيكي ٢: ١٣ «لِأَنَّكُمْ إِذْ تَسَلَّمْتُمْ مِنَّا كَلِمَةَ خَبَرٍ مِنَ ٱللهِ، قَبِلْتُمُوهَا لَا ككَلِمَةِ أُنَاسٍ، بَلْ كَمَا هِيَ بِٱلْحَقِيقَةِ ككَلِمَةِ ٱللهِ».

فروح الله هو الذي كال يلهم الأنبياء والرسل ذات الأقوال والألفاظ التي عبَّروا بها عن الوحي، وهو الذي علَّمهم اللغات الكثيرة التي كانوا لا يعرفونها. قال الله: «وَٱمْتَلَأَ ٱلْجَمِيعُ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ، وَٱبْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخَرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ ٱلرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا» (أعمال ٢: ٤) فالروح القدس لم يلهمهم المعاني فقط بل ذات الألفاظ أيضًا المعربة عن هذه المعاني، وليس المراد بذلك أنَّ المولى أزال شخصيتهم أي أنَّه أزال ما اختصوا به من المواهب الطبيعية فيهم بل كانت آثارها ظاهرة في كل نبي ورسول، فكان الله يطهِّر الإنسان من آثار الخطيئة والسقوط ويقدِّسها للعمل الذي عيَّنه له. فترى هنا نفس موسى وفي محل آخر نفس يوحنا وفي آخر إشعياء وفي آخر عاموس أو دانيال أو بطرس أو نحميا أو بولس، فكانت الأنبياء والحواريون أقلامًا حيَّة وأيدي مدركة وكتَّابًا مطيعين، وكان روح الله يرشدهم إلى استعمال العبارات وإلى ترتيبها وتنظيمها.

والخلاصة في هذا الأمر هي:

(١) إنَّ المسيح ورسله كانوا يستشهدون بذات الألفاظ الواردة في الكتاب

عدد الصفحات 120 من 340

المقدَّس بدون زيادة ولا نقصان مع سمو مقامهم، وكان جميع المؤمنين في كل الأجيال يتعبَّدون بها ويعدُّون حروفها ونقطها ويبالغون في حفظ ألفاظها لاعتقادهم بأنَّها وحي إلهي.

(٢) إذا كان الله هو الذي ألهم أنبياءه ورسله المعاني كان من الضروري أن يلهمهم الألفاظ المعرِبة عن هذه المعاني أيضًا، لأنَّه إذا تركهم وشأنهم لا يبعد أن يخطأوا في ذات الألفاظ الدالة عليها. كان من الضروري أن يوحي إليهم الألفاظ المناسبة للإعراب عن المعاني بالدقة والضبط. وكيف نتأكَّد من صحة المعاني إذا كان الله لا يوحي الألفاظ الدالة عليها؟ وزد على هذا أنَّه يوجد تلازم بين المعنى واللفظ، فإذا أوحى الله للأنبياء المعاني كان لا بدَّ أن يوحي إليهم الألفاظ المعربة عنها لعدم انفكاك الواحد عن الآخر، والألفاظ هي المرآة التي تُعرِب عن أعماق النفس.

(٣) إن سبب اختلاف نفس الأنبياء والرُّسل هو أن الله لم يلائِم شخصيتهم وسجيَّتهم الأصلية، ولكنَّه سبحانه أبقاها ووقاها من الزلل وأرشدها إلى ما تقول وتكتب. فكانوا أقلامًا حيَّة مدرِكة في يده. أما التواريخ المقدَّسة فتقدم الكلام عليها بما هو كافي.

(٤) هل يرضى المعترض لقرآنه بهذا المذهب الساقط؟ أي أنَّ محمدًا كان يعبِّر عما يوحى إليه بألفاظ من عنده؟! هذا على فرض صحة ما كان يتوهَّمه من أنَّ جبريل كان يوحي إليه المعاني. فهل كان يفوِّض له الإعراب منها بألفاظ يختارها؟! وربما يصدق هذا المذهب على قرآنه، فإنَّنا نرى محمدًا يورد القصة الواحدة بعبارات مختلفة، تارة بالزيادة وأخرى بالحذف، وتارة بالتطويل وأخرى بالإيجاز وغير ذلك. أما نحن أهل الكتاب فلا نرضى لكتب الله هذا الأمر.

(٥) اختلف علماء المسلمين في نزول القرآن. فذهب بعضهم إلى أنَّه نزل

عينة 120 صفحة من 340

لفظًا ومعنى، وذهب البعض الآخر إلى أنَّ جبريل أنزل المعنى فعبَّر محمد عنها بالألفاظ. ولنورد كلامهم كما ذكره السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»: «اختلفوا في محمد على ثلاثة أقوال (أحدها) إنَّه اللفظ والمعنى وإنَّ جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به، وذكر بعضهم أنَّ أحرف القرآن في اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف، وإنَّ تحت كل حرف منها معانٍ لا يحيط بها إلَّا الله. (والثاني) إنَّ جبريل إنَّما نزل بالمعاني خاصة وأنَّه صلعم علم تلك المعاني وعبَّر عنها بلغة العرب وتمسَّك قائل هذا بظاهر قوله ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾. (والثالث) إنَّه جبريل ألقى إليه المعاني، وإنَّه عبَّر بهذه الألفاظ بلغة العرب، وإنَّ أهل السماء يقرأونه بالعربية ثم إنَّه نزل به كذلك بعد ذلك. وقال الجويني كلام الله المنزل قسمان: قسم قال الله لجبريل: «قُل للنبي الذي أنت مرسل إليه إنَّ الله يقول افعل كذا وكذا، وأمر بكذا وكذا». ففهم جبريل ما قاله ربّه ثم نزل على ذلك النبي وقال له ما قاله ربه. ولم تكن العبارة تلك العبارة كما يقول الملك لمن يثق به: «قل لفلان، يقول لك الملك: اجتهد في الخدمة واجمع جندك للقتال» فإن قال الرسول: «يقول الملك: لا تتهاون في خدمتي، ولا تترك الجند تتفرَّق، وحثَّهم على المقاتلة» لا يُنسَب إليه كذب ولا تقصير في أداء الرسالة. وقسم آخر قال الله لجبريل: «اقرأ على النبي هذا الكتاب» فنزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير كما يكتب الملك كتابًا ويسلِّمه إلى أمين ويقول: اقرأه على فلان فهو لا يغيِّر كلمة ولا حرفًا. وقال السيوطي: القسم الأول هو السُّنَّة، والقسم الثاني هو القرآن. والحاصل أنَّ أقوال علماء المسلمين لا تخلو من الاضطراب والخرافات وقد أوردناها حتى لا يستغرب إذا رأى المعترض بعض أقوال سخيفة في بعض كتب المسيحيين. والقول الصحيح هو ما قدَّمناه

عيسى 120 صفحة من 340

عن التوراة والإنجيل والزبور من أن الله أوحى بها إلى أنبيائه ورسله لفظًا ومعنى.

ليس كل ما يكتبُ النبي إلهاميًا:

قال المعترض: «قال جامعو تفسير هنري واسكات في المجلَّد الأخير من تفسيره نقلاً عن الأصول الإيمانية: ليس بضروري أن يكون كل ما كَتَبَ النبي إلهاميًا، ولا يلزم من كون بعض كتب سليمان إلهاميًا أن يكون كل ما كتبه إلهاميًا. وإن الأنبياء والحواريين كانوا يلهمون على المطالب الخاصة والمواقع الخاصة».

وللردِّ نقول: ورد في (١ملوك ٤: ٣٢ - ٣٤) «وَتَكَلَّمَ بِثَلاَثَةِ آلاَفِ مَثَلٍ، وَكَانَتْ نَشَائِدُهُ أَلْفًا وَخَمْسًا. وَتَكَلَّمَ عَنِ ٱلْأَشْجَارِ، مِنَ ٱلْأَرْزِ ٱلَّذِي فِي لُبْنَانَ إِلَى ٱلزُّوفَا ٱلنَّابِتِ فِي ٱلْحَائِطِ. وَتَكَلَّمَ عَنِ ٱلْبَهَائِمِ وَعَنِ ٱلطَّيْرِ وَعَنِ ٱلدَّبِيبِ وَعَنِ ٱلسَّمَكِ. وَكَانُوا يَأْتُونَ مِنْ جَمِيعِ ٱلشُّعُوبِ لِيَسْمَعُوا حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ ٱلْأَرْضِ ٱلَّذِينَ سَمِعُوا بِحِكْمَتِهِ».

(١) قوله إن سليمان تكلَّم بثلاثة آلاف مَثَل لا يدل على أنَّ هذه الأمثال دُوِّنت في كتب، بل أنَّه تكلَّم بها فقط. ومع أنَّها ملآنة من الحكمة إلَّا أنَّها ليست بوحي إلٰهي حتى كانوا يدوِّنونها ويحافظون عليها. والغاية من عبارة الوحي الإعراب عن حكمة سليمان الباهرة التي لم يصل إليها المتقدمون ولا المتأخرون.

(٢) المراد بقوله «وَكَانَتْ نَشَائِدُهُ أَلْفًا وَخَمْسًا» النشائد التي ألَّفها في زمن صباه، فإنَّه لا بد أنَّ مثل هذا الحكيم الشهير ألَّف نشائد في زمن صباه. فسواء كانت موجودة أو غير موجودة، فذلك على حدٍّ سواء.

(٣) إن سليمان ألَّف تاريخًا عن النباتات والحيوانات، وهو يختص بالعلوم، ولا يلزم أن يكلَّف بمعرفته أي إنسان. ومع أنَّ العلماء الباحثين في

عينة 120 صفحة من 340

التاريخ يتأسَّفون على فقده، إلَّا أنَّه لا يختص بالدين.

وإن كانت هذه الأقوال تشتمل على الحِكَم البديعة. فالكُتُب الموحى بها هي التي حافظت عليها الأمَّة اليهودية وتعبَّدت بتلاوتها في معابدهم. وبما أنَّ الأنبياء هم أمناء الله الذين جعلهم مودع أسراره فما يعلنون بأنَّه وحي إلٰهي يجب تصديقهم فيه، إذ لا يتصور في حقِّهم الكذب أو الغِش. وقد ثبت بالدليل القطعي أن الكتب المتمسّك بعروتها الوثقى اليهود والمسيحيون هي موحى بها لأنها مؤيَّدة بالمعجزات الباهرة، ولأن تعاليمها مبنية على قداسة الله وحقِّه وعدله.

التواريخ المقدَّسة وحي:

قال المعترض: «ورد في «دائرة المعارف البريطانية» في بيان الإلهام: وقع النزاع في أنَّ كل قول مندرج في الكتب المقدَّسة هل هو إلهامي أم لا، وكذا كل حال من الحالات المندرجة فيها فقال كثيرون إن ليس كل قول مندرج فيها إلهاميًا. ثم ورد في الجزء ١٩ من الكتاب المذكور أن: «الذين قالوا إنَّ كل قول مندرج فيها إلهامي لا يقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة» ثم قالوا: إن سألنا أحد على سبيل التحقيق إنكم تسلِّمون أي جزء من العهد الجديد إلهاميًا؟ فقلنا إن المسائل والأحكام والأخبار بالحوادث الآتية التي هي أصل الملَّة المسيحية لا ينفك الإلهام عنها، وأما الحالات الأخر فكان حفظ الحواريين كافيًا لبيانها».

وللردِّ نقول: دأب المعترض إيراد أقوال الكفرة والملحدين الذين لا يؤمنون برسول ولا نبي ولا وحي إلهي، أو إيراد بعض أقوال المهووسين. وها نوضح اعتراضاتهم وندحضها باليقين فنقول: ذهب البعض إلى أنَّه لا مانع من أن يكون الوحي قاصرًا على الأحكام أو تدوين النبوَّات المنبِئة عن الحوادث المستقبلة. أما الحوادث التي شاهدها الرسول أو النبي فلا يلزم

يبقى 120 صفحة من 340

لتدوينها وحي الروح القدس، كإنقاذ بني إسرائيل من يد فرعون وشقِّ البحر الأحمر، ونزول المن والسلوى، أو قصة يوسف ويونس وداود وغيرها، فقالوا إنَّه لا يلزم لذِكر هذه الحوادث التي شاهدها النبي وحيٌ إلٰهي!

ولو رضي المعترض بهذا القانون لسقط قرآنه! لأنَّه سرق جلَّ هذه التواريخ من التوراة وادَّعى أنَّ الله أخبره بها. ويكفي في الردِّ على من ذهب إلى هذا المذهب قول الرسول بولس: «كُلُّ ٱلْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ ٱللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَٱلتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَٱلتَّأْدِيبِ ٱلَّذِي فِي ٱلْبِرِّ» (٢تيموثاوس ٣: ١٦) وأيضًا نقرأ في سفر المزامير «نَامُوسُ ٱلرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ ٱلنَّفْسَ. شَهَادَاتُ ٱلرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ ٱلْجَاهِلَ حَكِيمًا. وَصَايَا ٱلرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ تُفَرِّحُ ٱلْقَلْبَ. أَمْرُ ٱلرَّبِّ طَاهِرٌ يُنِيرُ ٱلْعَيْنَيْنِ. خَوْفُ ٱلرَّبِّ نَقِيٌّ ثَابِتٌ إِلَى ٱلْأَبَدِ. أَحْكَامُ ٱلرَّبِّ حَقٌّ عَادِلَةٌ كُلُّهَا. أَشْهَى مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْإِبْرِيزِ ٱلْكَثِيرِ، وَأَحْلَى مِنَ ٱلْعَسَلِ وَقَطْرِ ٱلشِّهَادِ» (مزمو ١٩: ٧ - ١٠).

وهذه التواريخ المقدَّسة توضح لنا قدرة الله وحكمته وجودته وهي مرآة لأعمال عنايته الإلهية وتوضيح لنا مقاصده الطاهرة، كما أنَّها توضيح لنا شرَّ الإنسان وفساد قلبه وطبيعته وانحرافه والغاية منها تهذيبنا وإنذارنا. قال الرسول (١كورنثوس ١٠: ١١) «فَهٰذِهِ ٱلْأُمُورُ جَمِيعُهَا أَصَابَتْهُمْ مِثَالًا، وَكُتِبَتْ لِإِنْذَارِنَا نَحْنُ ٱلَّذِينَ ٱنْتَهَتْ إِلَيْنَا أَوَاخِرُ ٱلدُّهُورِ» فيلزم والحالة هذه أن تكون منزَّهة عن الخطأ، وهذا يستلزم أن تُكتَب بوحي إلٰهي وإلَّا لا تفي بالمراد. فينتج أن الله أوحى بها لأنبيائه ورسله للإفادة.

القصص في القرآن:

إنَّ القرآن ذكر طرفًا من تاريخ المسيح وتجسُّده وعمله المعجزات، وذكر طرفًا من تواريخ الحواريين (تلاميذ المسيح) واقتبس قليلاً من قصة آدم وحواء وإبراهيم ونوح وموسى وبني إسرائيل ويوسف وغيره. قال في

عدد الصفحات 120 من 340

سورة (يوسف ١٢: ٣) ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَافِلِينَ﴾، وقال في سورة (الأعراف ٧: ١٧٦) ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وقال في سورة (القصص ٢٨:٣) ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ﴾، وقال في سورة (الأعراف ٧: ١٠١) ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا﴾، وورد في سورة (هود ١١: ١٢٠) ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، وقال في سورة (طه ٢٠:٩٩) ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ إلى آخره، فإذا سلَّمنا بالمبدأ الذي أتى به المعترض كان القرآن غير موحى به لأنَّه لا يشتمل إلَّا على بعض أحكام قليلة جدًا وهي حسب القانون الذي وضعه هي الموحى بها. وثانيًا إنَّه لا يشتمل على نبوَّات مطلقًا! وهو مشحون بالقصص والحكايات التي اقتبسها من أهل الكتاب وغيرهم، بل كلّه قصص. فيكون حسب القانون الذي أتى به خرافة من الخرافات أو قصص السابقين.

تنزّه الكتب المقدَّسة عن التناقض:

قال المعترض: «إنَّ ريس كتب بإعانة كثير من المحققين اشتهر «دائرة معارف ريس» فقال في المجلد التاسع عشر: إنَّ الناس تكلَّموا في كون الكتب المقدَّسة إلهامية، وقالوا إنَّه يوجد في أفعال مؤلفي هذه الكتب وأقوالهم أغلاط واختلافات إذا قوبلت متَّى ١٠: ١٩ و٢٠ مع مرقس ١٣: ١١، مع أعمال ٢٣: ١ - ٦».

وللردِّ نقول: لنورد عبارة البشير متَّى ونصَّها: «فَمَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلَا تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ، لِأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ ٱلسَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ، لِأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ ٱلْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ ٱلَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ» ومثلها عبارة البشير مرقس، وعبارة الرسول في أعمال الرسل هي أنه لما كان بولس يلقي خطابًا في مجمع اليهود أمر حنانيا رئيس الكهنة الواقفين عنده أن يضربوه

عدد الصفحات 120 صفحة من 340

على فمه. حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ بُولُسُ: «سَيَضْرِبُكَ ٱللهُ أَيُّهَا ٱلْحَائِطُ ٱلْمُبَيَّضُ! أَفَأَنْتَ جَالِسٌ تَحْكُمُ عَلَيَّ حَسَبَ ٱلنَّامُوسِ، وَأَنْتَ تَأْمُرُ بِضَرْبِي مُخَالِفًا لِلنَّامُوسِ؟». فَقَالَ ٱلْوَاقِفُونَ: «أَتَشْتِمُ رَئِيسَ كَهَنَةِ ٱللهِ؟» فَقَالَ بُولُسُ: «لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ أَنَّهُ رَئِيسُ كَهَنَةٍ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: رَئِيسُ شَعْبِكَ لَا تَقُلْ فِيهِ سُوءًا» فهنا لا يوجد أدنى اختلاف ولا تناقض إنَّ الروح القدس كان ينطق على ألسنة التلاميذ فوقفوا أمام الملوك والفلاسفة والعلماء والفهماء وأذهلوهم بحكمتهم الإلهية وأناروا العالم.[٤٤]

لم ينشروا دينهم بالسيف كما فعل محمد، وتقدم أنَّ حنانيا كان يستوجب هذا الزجر لأنَّه أظهر الجور والتعسُّف في أمره بضرب بولس دون وجه حق، وقول بولس: «سيضربك الله» ليس هو من قبيل اللَّعن والغضب بل هو نبوَّة تمَّت. فإنَّ الأشقياء فتكوا بحنانيا مع أخيه وقت الفتن التي حصلت في أورشليم، وكان حاول الاختفاء في صهريج فسحبه الأشقياء وقتلوه. ذكر ذلك المؤرخ يوسيفوس فتمَّت نبوَّة هذا الرسول لأنَّ الروح القدس هو الناطق على لسانه، أما قوله: «لم أكُن اعرف انه رئيس كهنة» فهو من قبيل التهكم كأن يقول لم أعرف أنَّ رئيس كهنة يكون بهذه الصفة من الجور والانحراف عن الحق! وإذا كان عارفًا أو لم يكن عارفًا بأنَّه رئيس كهنة فلم يسحب كلامه، وتقدَّم أنَّ الرسل لم يتشفَّوا في أحد كما كان يفعل محمد.

340 صفحة من 120

٤٤ - تقدم في الجزء الثاني في صحيفة ٣٢٨

الفصل الخامس

«في الكلام على خمسة أسفار موسى، وأقوال بعض المصلحين وركاكة ترجمة المعترض وغيرها من الأبحاث»

عينة 120 صفحة من 340

المواد التي أخذ منها موسى:

قال المعترض: «قال هورن في المجلد الثاني: إنَّ اكهارن من علماء ألمانيا لا يعتقد بوحي موسى ولا أسفاره الخمسة، ثم قال في صحيفة ٨١٨: قال شلمزواتهه، ورزن ملر، ودكتور جدس: إنَّه ما كان وحي لموسى بل جميع كتب موسى الخمسة من الروايات المشهورة».

وللردِّ نقول: إنَّ هورن أورد الأدلَّة القاطعة على أنَّ خمسة أسفار موسى هي بوحي إلهي، وإنَّما دأب المعترض إيراد اعتراضات الكَفَرَة وغضَّ النظر عن الردِّ عليها ليوهم المطالع أنَّ موسى ليس نبيًّا وإنَّ كتبه غير موحى بها، وما درى أنَّ محمدًا شحن كتابه من أقوال هذه الكتب المقدَّسة كما سنوضح. وقال هورن لا يبعُد أنَّ موسى أخذ عن التقاليد المأثورة بعض تواريخ الأشخاص المذكورة في سفر التكوين.

أسفار موسى الخمسة «الناموس»

إنَّ الأسفار الخمسة التالية منسوبة إلى النبي موسى فيما عدا الأصحاح الأخير من سفر التثنية فإنَّه أُضِف لإتمام التاريخ. وقيل إنَّه ليشوع بن نون!

١- التكوين. ٢- الخروج. ٣- اللاويين. ٤- العدد. ٥- التثنية.

وهذه الأسفار هي القسم الأول من العهد القديم والذي سُمِّي عند اليهود «ناموس موسى» (لوقا ٢٤: ٤٤). وهذه الأسفار تحوي التاريخ من آدم إلى وصول الإسرائيليين إلى حدود أرض كنعان سنة ١٤٥١ ق.م. وبذلك يكون موسى كتب حوادث قديمة قبل ولادته! ولا شك أنَّه كان يعرف حقيقة هذه الحوادث ، وقد توصَّل إليها عن طريق عدة طُرُق:

أولاً من الآباء الأسلاف الموحى إليهم: فإن كنيسة الله على الأرض مع أنها كانت ضعيفة إلَّا أنَّها لم تتلاشَ، ولم يكن فيه وقت قويت عليها أبواب الجحيم. وسلسلة شعب الله الخالصين لم تنقطع البتة، بل كان الله يقيم من وقت إلى آخر أناسًا أُمناء يعلن لهم إرادته لكي يعبدوه بالروح والحق ويعلِّموا غيرهم بذلك. فإذًا لا بد من أن معرفة الإله الحقيقي وأحداث الأجيال القديمة كانت محفوظة عند العبرانيين في مصر أيام موسى وكانوا يتداولونها ويعلمون بها.

ونتعلم من تاريخ هذه الأسفار بأنَّه كان بين آدم وموسى خمسة أشخاص من أجيال متتابعة، وهؤلاء الأشخاص مشهود لهم بالورع والتقوى ولا بُدّ من أن بواسطتهم قد تسلسل الخبر من آدم إلى موسى بكل أمانة. فالأول «متوشالح» وهو كان معاصرًا لآدم ٢٤٣ سنة. والثاني «سام» وهو قد عاش معاصرًا لمتوشالح ٩٨ سنة. والثالث «إسحق» وهو قد عاش معاصرًا لسام ٥٠ سنة. والرابع «لاوي» وهو قد عاش معاصرًا لإسحق ٣٤ سنة. والخامس «قهَات» بن لاوي وأبو عمرام الذي كانت سنوّ حياته ١٣٣ سنة، ويحتمل أنه قد عاصر موسى أو أن أباه لاوي قد عاصر ابنه عمرام الذي قد عاصر موسى (خروج ٦:١٦-٢١) «وَهٰذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي لَاوِي بِحَسَبِ مَوَالِيدِهِمْ: جَرْشُونُ وَقَهَاتُ وَمَرَارِي. وَكَانَتْ سِنُو حَيَاةِ لَاوِي مِئَةً وَسَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً. اِبْنَا جَرْشُونَ: لِبْنِي وَشِمْعِي بِحَسَبِ عَشَائِرِهِمَا. وَبَنُو قَهَاتَ: عَمْرَامُ وَيِصْهَارُ

يتبقى 120 صفحة من 340

وَحَبْرُونُ وَعُزِّيئِيلُ. وَكَانَتْ سِنُو حَيَاةِ قَهَاتَ مِئَةً وَثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً. وَٱبْنَا مَرَارِي: مَحْلِي وَمُوشِي. هٰذِهِ عَشَائِرُ ٱللَّاوِيِّينَ بِحَسَبِ مَوَالِيدِهِمْ. وَأَخَذَ عَمْرَامُ يُوكَابَدَ عَمَّتَهُ زَوْجَةً لَهُ. فَوَلَدَتْ لَهُ هَارُونَ وَمُوسَى. وَكَانَتْ سِنُو حَيَاةِ عَمْرَامَ مِئَةً وَسَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً. وَبَنُو يِصْهَارَ: قُورَحُ وَنَافَجُ وَذِكْرِي». ولأنه كان من موت لاوي إلى ولادة موسى ٤٢ سنة، وكان بينهما شخصان من طوال الأعمار وهما قهات الذي عاش ١٣٣ سنة، وعمرام ابنه ١٣٧ سنة!

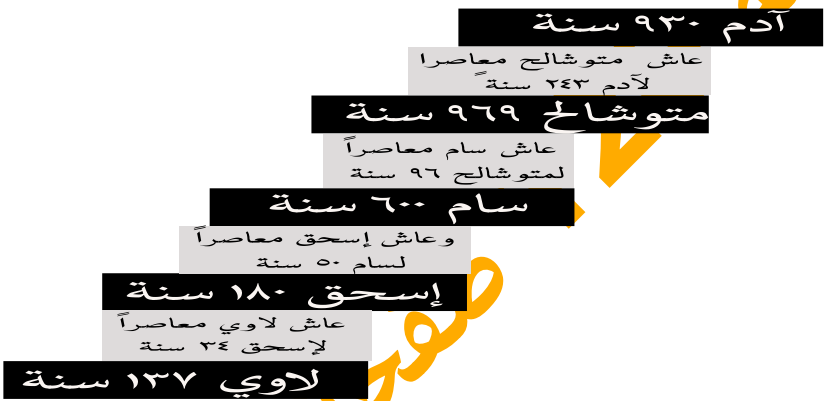

ثانيًا من كتابة الآباء: فإن كثيرين من الباحثين يعتقدون بأن الآباء كانوا يعتنون بكتابة الأحداث ولابد من أنهم كانوا يبذلون جهودًا مضنية لضبط هذه الأمور التي تركوا بسببها أوطانهم وتاهوا في أرضٍ غريبة ساكنين الخيام طوال حياتهم، وعدم وصول شئ من هذه الكتابات إلينا لا ينافي هذا الرأي! أما صناعة الكتابة في هذا الزمن فأقدم المخطوطات تتكلم بما لا يدع مجالاً للشك، كما نستدل عليها من أن يهوذا كان له خاتم (تكوين ٣٨) وإن صناعة نقش الخواتم كانت معروفة عند العبرانيين (خروج ٢٨) وحيثما كانت هذه الصناعة فلا بُدّ من وجود صناعة الكتابة.

ثالثًا الوحي: إنَّه فضلاً عما تقرر نقول إنَّ اعتمادنا على صحة هذه الأسفار وغيرها من أسفار الكتاب المقدَّس هو الوحي، ولولا هذا ما كنا

عينة 7 صفحة من 340

نقبلها دستورًا لإيماننا ولو كان لها ألوفٌ من الأدلة على صحة أحداثها! أمّا أدلتنا على أن الله أوحى بها لكليمه موسى فهي:

أ- شهادة الأمم القديمة كأمّة اليهود الذين استؤمنوا على هذه الأسفار وغيرها. فإن الجميع قبلوها واعتمدوها دستورا وقانون لإيمانهم، ولا زالوا يوقّرونها إلى يومنا هذا.

ب- شهادة الكنيسة المسيحية الأولى وآبائها منذ تأسيسها إلى الآن.

ج- شهادة كتب العهد القديم: فإنه كثير ما تُذكر هذه الأسفار في أجزائها المتنوعة منسوبة إلى موسى ومحسوبة أسفارًا قانونية كما في سفر يشوع الأصحاح الأول، وكذلك

الشاهد	الآية
قضاة ٣: ٤	«كَانُوا لِامْتِحَانِ إِسْرَائِيلَ بِهِمْ، لِيُعْلَمَ هَلْ يَسْمَعُونَ وَصَايَا ٱلرَّبِّ ٱلَّتِي أَوْصَى بِهَا آبَاءَهُمْ عَنْ يَدِ مُوسَى.»
٢ملوك ٢٣: ٢٥	«وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ مَلِكٌ مِثْلُهُ قَدْ رَجَعَ إِلَى ٱلرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِهِ وَكُلِّ نَفْسِهِ وَكُلِّ قُوَّتِهِ حَسَبَ كُلِّ شَرِيعَةِ مُوسَى، وَبَعْدَهُ لَمْ يَقُمْ مِثْلُهُ.»
٢أخبار ٣: ١٦	«وَأَقَامُوا عَلَى مَقَامِهِمْ حَسَبَ حُكْمِهِمْ كَنَامُوسِ مُوسَى رَجُلِ ٱللهِ. كَانَ ٱلْكَهَنَةُ يَرُشُّونَ ٱلدَّمَ مِنْ يَدِ ٱللَّاوِيِّينَ.»
عزرا ٣: ٢	«وَقَامَ يَشُوعُ بْنُ يُوصَادَاقَ وَإِخْوَتُهُ ٱلْكَهَنَةُ وَزَرُبَّابِلُ بْنُ شَأَلْتِيئِيلَ وَإِخْوَتُهُ وَبَنُوا مَذْبَحَ إِلٰهِ إِسْرَائِيلَ لِيُصْعِدُوا عَلَيْهِ مُحْرَقَاتٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى رَجُلِ ٱللهِ»

عينة 120 صفحة من 340

نحميا ٨: ١٤	«فَوَجَدُوا مَكْتُوبًا فِي ٱلشَّرِيعَةِ ٱلَّتِي أَمَرَ بِهَا ٱلرَّبُّ عَنْ يَدِ مُوسَى أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَسْكُنُونَ فِي مَظَالَّ فِي ٱلْعِيدِ فِي ٱلشَّهْرِ ٱلسَّابِعِ»
دانيال ٩: ١١	«وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَعَدَّى عَلَى شَرِيعَتِكَ وَحَادُوا لِئَلَّا يَسْمَعُوا صَوْتَكَ فَسَكَبْتَ عَلَيْنَا ٱللَّعْنَةَ وَٱلْحَلْفَ ٱلْمَكْتُوبَ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى عَبْدِ ٱللهِ لِأَنَّنَا أَخْطَأْنَا إِلَيْهِ.»

د- شهادة المسيح ورسله: واقتبسوا منها الكثير كأسفار قانونية منسوبة إلى موسى، والعهد الجديد ملئ بمثل هذه الاقتباسات على سبيل المثال لا الحصر:

إنجيل متَّى: ٤: ٤، ٧، ٥: ٢١، ٢٧، ٣١، ٣٣، ٨: ٤، ١٥: ٤، ١٩: ٤-٩،
إنجيل لوقا: ٢: ٢٢ - ٢٤ و٣٩، ١٦: ٢٩ على آخر الأصحاح ٢٤: ٢٧،
إنجيل يوحنا ١: ٤٥، ويوحنا ٥: ٤٥،
أعمال ١٥: ٢١، ٢٦: ٢٢،
رومية ١: ٥ و١٩،
١كورنثوس أصحاح ١٠، و٢ كورنثوس ٣، والرسالة إلى العبرانيين كلها.

ولا حاجة لتكثير الشواهد أكثر من هذا، ومن أراد المزيد فليطالع قواميس وفهارس الكتاب المقدَّس.

ويتضح جليًا من مطالعة هذه الأسفار أن كاتبًا ما بعد موسى يشوع أو صموئيل أو عزرا أدخل بالوحي بعض الجمل التفسيرية وأضاف خبر موت موسى ودفنه تثنية ٣٤. أما اعتراض البعض بأن استعمال بعض الألفاظ مثل «كما كلَّم الرب موسى» وغيرها فهذه اعتراضات واهية لا تقوى أمام البراهين السالف ذكرها.

عينة 120 صفحة من 340

كتابة سفر التكوين بعد دعوة موسى:

قال المعترض: «إنَّ يوسيبيوس وكذا بعض المحقِّقين الكبار الذين كانوا بعده يقولون: «إنَّ موسى كَتَبَ سفر الخليقة (التكوين) في الوقت الذي كان يرعى الغنم في مديان في بيت صهره». فإذا كان موسى قد كتب هذا السفر قبل النبوَّة فلا يكون عند أولئك المحقِّقين موحى به».

وللردِّ نقول: إنَّ المعترض ذكر هذه العبارة لأنَّها اعتراض على الكُتُب الإلهية، وغضَّ الطرف عن العبارة التي بعدها لأنَّها متكفلة ببيان الحقيقة. ولنوردها، قال: غير أنَّ القول الصحيح هو ما قرَّره «ثيودورت» وأيَّده «مولدنهاور» والمحقِّقون في هذا العصر وهو أنَّ موسى كتب سفر التكوين بعد خروج بني إسرائيل من مصر ونزول الشريعة على جبل سيناء، لأنَّه كان قبل الدعوة غير متوشح بروح النبوَّة (كما في خروج ٣). بل كان كواحد من عامة الناس، وكان لا يمكنه تدوين سفر التكوين بمثل هذا الضبط والدِّقَّة بدون روح النبوَّة، بل كان يتعذر عليه أيضًا النُّطق بالنبوَّات عن المسيَّا وعن ذريَّة إسماعيل وأولاد يعقوب. وقد تمَّت هذه النبوَّات فعلاً كما أنبأ. وذهب العلَّامة موسى بن نعمان أنَّ الله أملى على موسى كل ما دُوِّنَ في هذا السفر وذلك في الأربعين يومًا التي كان فيها على جبل سيناء يتكلَّم مع الله تكليمًا، وعند نزوله من الجبل كتب هذا السفر والدليل على ذلك ما ورد في سفر الخروج ٢٤: ١٢ «وَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى: «ٱصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى ٱلْجَبَلِ، وَكُنْ هُنَاكَ، فَأُعْطِيَكَ لَوْحَيِ ٱلْحِجَارَةِ وَٱلشَّرِيعَةِ وَٱلْوَصِيَّةِ ٱلَّتِي كَتَبْتُهَا لِتَعْلِيمِهِمْ»» فالمراد باللوحين الوصايا العشر، والمراد بالشريعة جميع الأوامر الطقسية والقضائية، والمراد بالوصايا كل كُتُب موسى التعليمية أو التاريخية... انتهى.

ويكفينا أن نعرف بأنَّ موسى كَتَبَ ما كتبهُ بإلهام الروح القدس. فترى من هذا أنَّ غاية المعترض طمس الحقائق الإلهية لسوء نواياه.

عينة 120 صفحة من 340

وإذا فرضنا صحة أقوال الكَفَرَة من أنَّ كُتُب موسى ليست بإلهام الروح القدس حينئذٍ يسقط قرآنه من أوَّله إلى آخره! لأنَّه أخذ من هذه الأسفار المقدَّسة: تاريخ خلق الله الدنيا في ستة أيام، وتواريخ آدم وحواء وسقوطهما، وقصة قايين وهابيل، ونوح والطوفان، وإبراهيم وإسحق وإسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى وآياته ومعجزاته والضربات التي ضرب بها المصريين، وخروج بني إسرائيل من أرض مصر ونزول الشريعة على موسى، وعبادة بني إسرائيل للعِجل، ونزول المن والسلوى، وبعض الأحكام الشرعية... وغيره وغيره. فلولا كُتُب موسى لما قدر محمد ولا أحد من العلماء أوالفلاسفة أوالفقهاء أن يعرفوا شيئًا من هذه الحقائق الهامة. فلولا كُتُب موسى لما عرف أحد أصله، ولما عرف أصل دخول الخطية وغير ذلك. والمعترض ظنَّ من تعصُّبِهِ أنَّه إذا تعلَّق ببعض أقوال الملحدين يطمس معالم الحق ويكون آمنًا على قرآنه وما درى أنَّ قرآنه أخذ هذه الحقائق من التوراة ومسخها وخلطها وشوَّهها.

لوثر:

قال المعترض: «قال وارد كاتلك: إنَّ لوثر قال: «لا نسمع من موسى ولا ننظر إليه لأنه كان لليهود فقط، ولا علاقة له بنا في شيء مّا». وقال أيضًا: «لا نسلم موسى ولا توراته لأنَّه عدو عيسى»، ثم قال: «إنَّه أستاذ الجلادين ولا علاقة للأحكام العشرة بالمسيحيين وأنَّها أصل كل بدعة». وقال «إسلي بيس» تلميذه لا تعلَّم الأحكام العشرة في الكنائس، وخرجت فرقة أنتي نومينس من هذا الشخص ومذهبهم أنَّ التوراة ليست بكلام الله، وذهبوا إلى أنَّ الزاني أو الفاجر والمرتكب لذنوب أخرى هو ناجٍ وإن غرق في العصيان وهو مؤمن فهو في سرور».

عينة 120 صفحة من 340

لوثر وأجريكولا

وللردِّ نقول: بما أنَّ المعترض غير أمين في نقله، فيتصرف في العبارات بالزيادة والحذف حتى يعكس ويقلب المعاني. فالنشرح مسألة لوثر. إنَّ هذا الرجل اشتهر بالفكر الناقد والغيرة في هدم أركان البدع والضلالات، فجادل الكاثوليك المجادلات الطويلة العريضة وكانت لا تخلو بعض عباراته من الغلوِّ لشدَّة المجادلات ولأن كانت غايته دكّ أساس البدع الذميمة. فقال لوثر عن العهد الجديد لا توجد شريعة تجبر وتلزم المؤمنين لأن الناس المقدسين الذين يُساقون بالشريعة ليسوا جديربن باسم المسيحيين. ثم غالى في مجادلاته فقال: «إنَّ معلِّمي الخطيئة يضايقوننا بموسى، فلا نريد أن نسمع موسى ولا نراه لأنَّه أُعطِي لليهود ولم يُعطَ لنا نحن الأمم والمسيحيون، فعندنا إنجيلنا. فهم يريدون أن يهددونا بواسطة موسى، وهيهات». ذلك وسببه أنَّ الكاثوليك تطرَّفوا في حفظ الأعمال الصالحة وتوهَّموا أنَّ الله يقبلنا بسببها، وإنَّ خلاصنا متوقف عليها. فتطرَّف كذلك لوثر في رفضها. وقال ميلانخنون قد نُسِخَت الوصايا العشر. غير أنَّ هذه المناقشات والمجادلات التي يمتطي فيها كلا الطرفين الشطط لا تظهر حقيقة آراء لوثر وميلانخنون، فإنَّهما سنَّا قانونًا للوعاظ والرعاة ورد فيه ما نصه: «يجب على كل راعٍ أن يعلِّم العشر وصايا، ويحضُّ على التمسُّك بها، ولا يعلِّم الوصايا فقط بل ينذر كل من خالفها بالعقاب».

فقام أجريكولا ووصف لوثر بالشذوذ عن تعليم التبرير بالإيمان فقط، وذهب إلى أن العشر وصايا لا يجب على المسيحيين التمسُّك بها. فردَّ عليه لوثر ودحض كلامه، وفي سنة ١٥٣٧م لما تمكَّن أجريكولا في وتنبرج ألَّف جملة رسائل ونشرها بدون اسم بخصوص التوبة ونسبتها إلى الإيمان، وزاد بدعة وهي قوله: «إذا كنتَ منغمسًا في الآثام بأن كنتَ زانيًا أو لصًّا فأنت ناجٍ إذا كنتَ مؤمنًا، وكلُّ من اتَّبع موسى ذهب إلى الشيطان أو إلى المشنقة

عبقة 120 صفحة من 340

مع موسى» وبعد ذلك اعترف بأنَّه هو المؤلِّف لهذه الرسالة. فردَّ عليه لوثر وفنَّد كلامه واستعمل الرفق معه أوَّلا ولم يتعرَّض لشخصه، ولما رأى أنَّ الرفق لا ينفع شنَّع في أجريكولا بشدَّة في سنتي ١٥٣٩ و١٥٤٠ ونشأ عن مذهب أجريكولا فرقة أنتينوميانسم.

مذهب الإيمان بدون عمل صالح:

فذهبت فرقة «أنتينوميانسم» إلى أنَّه لا يجوز أن تسري الشريعة الأدبية على المسيحيين ولا تتخذ دستورًا لهم. وتطرَّف بعضهم حتى قال إنَّ الأعمال الصالحة تمنع الخلاص، وإنَّه لا يمكن للمسيحي أن يخطيء وإن المسيح هو العامل للأعمال الصالحة في المؤمن. ونشأ عن هذا أن قالوا إنَّ المسيح ألغى القانون الأدبي وإنَّ المسيحي محرَّر من الأعمال الصالحة. غير أنَّ رسالة يعقوب الرسول هي كافية في دحض هذه البدعة

أدب معاوية وقول العدو في عدوِّه

فترى من هنا أنَّ أعداء لوثر نسبوا إليه ما هو برئ منه كليًّا، والعدو يقول في عدوه كل ما يرى أنَّه يحط بقدره. كتب معاوية إلى قيس بن سعيد بن عبادة: «أمَّا بعد، فإنما أنت يهودي ابن يهودي، إن ظفر أحد الفريقين إليك عزلك واستبدل بك، وإن ظفر أبغض إليك قتلك ونكَّل بك. وقد كان أبوك أوتر قوسهُ ورمى غرضهُ فأكثر الحز وأخطأ المفصل فخذلهُ قومهُ وأدركة يومهُ ثم مات طريدًا بحوران». فأجابه قيس: «أمَّا بعد، فأنت وثني ابن وثني، دخلت في الإسلام كرهًا وخرجت منه طوعًا، لم يتمّ إيمانك ولم يحرز نفاقك، ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه، وأعداء الدين الذي دخلت فيهِ والسلام». وقد كان معاوية يلعن عليًّا على المنبر، وكتب إلى عمَّاله أن يلعنوه على المنابر ففعلوا. فكتبت أم سلمة زوج النبي إلى معاوية: إنَّكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك أنَّكم تلعنون عليّ بن أبي طالب

عينة 120 صفحة من 340

ومن أحبَّه. وأنا أشهد أن الله أحبَّه ورسوله. فلم يلتفت إلى كلامها. فانظر إلى آداب خليفة الله!

عقيدة المسلمين تشبه عقيدة أجريكولا:

ومن تأمَّل قليلاً رأى أن بدعة أجريكولا هي ركن من أركان الدين الإسلامي. فورد في الأحاديث الصحيحة قوله: «ما مِن عَبْدٍ قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ علَى ذلكَ إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ قُلتُ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ قُلتُ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ قُلتُ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ علَى رَغْمِ أنْفِ أبِي ذَرٍّ» وورد في الحديث «صلوا على من قال لا إله إلَّا الله. فدخل فيه أهل الكبائر وجميع أهل الأهواء والبدع الذين لا يكفرون بأهوائهم وبدعهم» قال في الجوهرة:

إذ جائز غفران غير الكفر ... فلا تكفر مؤمنًا بالوزر

ومن يمت ولم يتُب من ذنبه ... فأمره مفوَّض لربِّه

فليخبرنا المعترض ما الفرق بين عقيدة المسلمين هذه وبين ضلالة أجريكولا؟ والقول الحق الذي لا شك فيه أنَّ جميع المسيحيين على اختلاف مذاهبهم يعتقدون بالوصايا الأدبية وكُتُب موسى، ويعتقدون أنَّه لا يمكن لأي إنسان مهما كان أن يعاين الله بدون القداسة، ولا يدخل ملكوت السماوات الزناة ولا السارقون ولا الكذَّابون ولا الشتَّامون ولا السكِّيرون ولا من يقترف صغيرة أو كبيرة ما لم يتطهَّر بالروح القدس (١كورنثوس ٦: ٩ - ١٢). وماذا يقول إذا أوردنا بعض بدع وضلالات المسلمين كبدعة البنانية وغيره وادَّعينا أنها من مذهب أهل السُّنَّة؟!

صحة رسالة يعقوب الرسول:

قال المعترض: «إنَّ روجرز ذكر أنَّ علماء البروتستانت لم يقبلوا رسالة يعقوب، وإنَّ الدكتور بلس قال إنَّ رسالة يعقوب ليست من كتابة

عبقرية الإسلام 340 صفحة من

الحواريين».

وللردِّ نقول: الأدلَّة الدالة على أن رسالة يعقوب الرسول من الكتب الموحى بها أنَّها كانت من كُتُب العهد الجديد التي تُرجِمت في أواخر الجيل الأول: أولاً: لو كان علماء الكنيسة الأولى المعروفون بالعدالة وبساطة الإيمان مرتابين فيها لما جعلوها من الكتب التي كانوا يتعبَّدون بها في معابدهم، ولما اهتموا بترجمتها، فهي إذن قديمة عهد منذ زمن الرسل.

وثانيًا: إنَّ آباء الكنيسة الأوائل كانوا يستشهدون بها في مؤلَّفاتهم، فاستشهد بها أكليمندس أسقف روما مرتين، واستشهد بها هرماس سبع مرات واستشهد بها أوريجانوس وإيرونيموس وأثناسيوس والعلماء الذين أتوا بعدهم. ولما التأمت المجامع العامة والخاصة لم يشك أحد في أنَّها من الكتب الإلهية.

قال المعترض: «إنَّ لوثر قال في حق رسالة يعقوب إنَّها كلأ، يعني لا اعتداد بها، وإنَّه اعترض على قوله «أَمَرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ ٱلْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهُنُوهُ بِزَيْتٍ بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ» (يعقوب ٥: ١٤). فقال: «ليس للحواري أن يعيِّن حكمًا شرعيًا من جانب نفسه، لأنَّ هذا المنصب كان للمسيح فقط».

وللرد نقول: أولاً: مما يدل على بطلان ما عُزي إلى لوثر هو أنَّ أولئك المصلحين الذين ظهروا منذ ٥٠٠ سنة تقريبًا اتَّخذوا الكتب المقدَّسة دستورًا لهدم أركان البدع والضلالات التي كانت متفشية وقتئذٍ، فلا يُعقل أن يقول لوثر: «إنَّ رسالة يعقوب هي كلأ، لا اعتداد بها»، مع أنَّه اتَّخذ الكتب المقدَّسة حجَّة لإبطال البدع، فهي مستنده الوحيد ودليله الفريد.

ثانيًا: لقد أمضى لوثر وقتًا طويلاً في ترجمة الإنجيل أكثر مما أمضاه في تأليف أي كتاب آخَر، وظلَّت ترجمته إلى اللغة الألمانية بمساعدة

340 من 120 صفحة

زملائه (التي ما تزال تُدعَى إلى الآن بإنجيل لوثر) رمزًا ثقافيًّا لقرابة ٥٠٠ عام. وكانت ترجمة لوثر للعهد الجديد التي أتمَّها في غضون ثلاثة الأشهر والأكثر مبيعًا آنذاك، نُشِرت في سبتمبر عام ١٥٢٢م. وكانت رسالة يعقوب من ضمن أسفار العهد الجديد!

وثالثًا: لا يوجد في الآية التي أوردها المعترض من يعقوب ١٤:٥ حُكْم شرعي، نعم إنه يجوز للحواريين الذين أيَّدهم الله بالآيات البينات والمعجزات الباهرات أن يسنُّوا الأحكام الشرعية، ولكن لا يوجد في هذه الآية شيء من ذلك، ومراده أنَّه لا يجوز للإنسان أن يغضّ النظر عن اتخاذ الأسباب الطبيعية المعهودة في المعالجة، بل عليه أن يستعملها ويطلب بركة الله عليها.

منافع الزيت:

وإذا قيل لماذا خصَّ الزيت منها، قلنا أولًا: إنَّ الزيت كان مشهورًا عند اليهود بخواصه الصحية، فكان لا يجوز لأحدهم أن يسافر بدون أن يأخذ زيتًا معه، كما فعل السامري الذي كان مسافرًا، فإنَّه لما رأى الجريح ضمد جراحاته وصبَّ عليها زيتًا (لوقا ١٠: ٣٤).

ثانيًا: جرت العادة في الشرق أنَّهم يداوون الأمراض بالزيت لأنَّه نافع في علاج داء الاستسقاء، بل نافع في مداواة الطاعون، وإنَّ الأطباء أيَّدوا هذا بالتجارب. وهو أيضا نافع في الجروح والكسور.

كانت عادة اليهود التداوي بالزيت، فالرسول أشار باستعمال الوسائط الاعتيادية الطبيعية مع طلب بركة الله عليها، فإنَّه بدون بركة الله لا تجدي الأدوية نفعًا. فإنَّه هو وحده الشافي.

ولكن الكاثوليك أخذوا من ذلك فكرة زيت المسحة ولا يدهنون به أحدًا إلَّا عند حلول أجله، وهو منافٍ لقول الرسول. ومع أنَّ الرسول أشار

عينة 120 صفحة من 340

باستعماله لمداواة الجسد، إلَّا أنَّهم استعملوه لمداواة الروح، فاحتدَّ الجدال بينهم وبين لوثر في ذلك. ولا يبعد أن يكون لوثر تطرَّف في مناضلته عن الحق. وعلى كل حال فإيمان المسيحيين ليس مبنيًا على كلام لوثر ولا على غيره بل على أقوال الله الحية المؤيدة بالآيات البينات.

الخلاصة: لا يجوز مع متانة هذه الأدلَّة الالتفات إلى من ذهب إلى غير ذلك. على أنَّ المعترض نقل عن أقوال الأعداء وغضَّ الطرف عن الحق المبين. فإنَّ افتراء الكاثوليك على لوثر والبروتستانت أشهر من أن يُذكر، فغايتهم أن يحطُّوا بقدر خصومهم وينسبوا إليهم ما هم أبرياء منه. وإذا أراد أن يعرف ما يقوله الخصم في حق أخيه فليتأمل فيما قاله عثمان بن بحر الجاحظ، قال: «رأيتُ شيخًا يكره الشيعة. فإذا ذُكِرَ اسمهم أمامه غضب واربد وجهه وزوى من حاجبيه». فقلت له يومًا: «يرحمك الله! ما الذي تكرهه من الشيعة؟ فإنِّي رأيتك إذا ذُكِرُوا غضبت وقبضت». قال: «ما أكرهُ منهم إلَّا هذه الشين في أول اسمهم! فإنَّي لم أجدها قط إلَّا في كل شر، وشوم، وشيطان، وشغب، وشقاء، وشنار، وشرر، وشين، وشكوى، وشهوة، وشتم، وشح». فانظر كيف يستولي الهوى على الخصم فيغويه.

كلُّ كلام الله درجة واحدة:

قال المعترض: «قال «كلي مي شيس» إنَّ متَّى ومرقص يتخالفان في التحرير، وإذا اتَّفقا يُرَجَّح قولهما على قول لوقا».

وللردِّ نقول: إنَّ الرجل الذي ادَّعى بأنَّه أورد قوله ليس ممن يركن على قوله ولا يُعوَّل عليه. على أنَّ العبارة التي انتحلها منه مقتضبة! وعلى كل حال فالذي يعتقده كل مسيحي هو أنَّ كل الكتاب موحى به من الله ولا يجوز التفريق بين أقوال الله مطلقًا، فإنَّها كالنجوم فى الاهتداء. وأوضحنا نزاهة كتب الله عن الاختلافات والمناقضات. واعلم أنَّ كتب الله ليست

عبة 120 صفحة من 340

كالأحاديث المحمدية ولا الأقوال القرآنية، فإنَّنا أوضحنا أنَّه يكثر فيها الاختلافات والمناقضات واختلاف درجة أقوالها وقراءاتها. فينقسم الحديث إلى عالي ونازل وصحيح ومرفوع وغيره، وكذلك تنقسم قراءات القرآن لناسخه ومنسوخه درجات ومراتب. ولكن كتاب الله منزَّه عن ذلك.

عينة 120 صفحة من 340

ركاكة ترجمة المعترِض:

قال المعترض: «إنَّ المحقِّق بيلي صَنَّفَ كتابًا في الإسناد». ثم أورد المعترض ترجمة عبارة منه فلم نفهم معناها لأنَّ ترجمتها في غاية الركاكة كما لا يخفى على من راجع الأصل فمن أغلاطه في الترجمة قوله: «إن بيلي ألَّف كتابًا في الإسناد» وصوابه إنَّ كتابه يُسمَّى «البيِّنة الجليَّة على صحَّة الديانة المسيحية» ومن افترائه قوله: «تسلُّط الجِنِّ» مع إنَّ المسيحيين عمومًا لا يعترفون بالجنِّ ولا بما يشبه هذه الخرافات. والترجمة كلُّها ركيكة جدًا من حيثية تركيب العبارات والجُمل، فإنَّها أعجمية في صورة جمل عربية. وهذا حاله في أغلب منقولاته، والجُملة التي أوردها من بيلي هي مدافعة عن الديانة المسيحية فنسخها حسب غرضه.

المسيحيون الأوائل ويوم القيامة:

قال المعترض: «يُستفاد من كلامه أربعة فوائد: الفائدة الأولى إن الحواريين والقدماء المسيحية كانوا يعتقدون أنَّ القيامة تقوم في عهدهم وأنَّ يوحنا لا يموت إلى قيامها. أقول وهذا حق إذ قد عرفت في بيان الأغلاط أنَّ أقوالهم صريحة في أنَّ القيامة تقوم في عهدهم، ثم أورد عبارة المفسِّر بارنس».

وبما أنَّ ترجمته في غاية الركاكة والإبهام بسبب الجهل والتعصُّب وعدم الأمانة فنورد عبارة بارنس في أثناء الردِّ عليه.

وللردِّ نقول: عندما اختار المسيح تلاميذه ليكونوا رسله، كان يعلِّمهم أسرار ملكوته. فأفهمهم ماهية تعاليمه وإنَّ مملكته روحية، وكان يضرب لهم الأمثال ثم يفسِّرها لهم وغير ذلك. وكانوا في مبدأ الأمر لا يفهمون حقيقة ملكوته لأنَّهم كانوا يعتقدون مثل أهل وطنهم بأنَّه سيكون المسيح ملكاً جبَّارًا يحررهم من عبودية الرومان ويمنحهم الاستقلال، غير أنَّ المسيح أفهمهم أن مملكته روحية وليست من هذا العالم. فكان يعلِّمهم ويرشدهم ليرشِّحهم للعمل العظيم، فكانوا لا يفهمون المراد في بعض الأحيان ومن ذلك قوله في إنجيل يوحنا ٢١ : ٢٢ «قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ، فَمَاذَا لَكَ؟ ٱتْبَعْنِي أَنْتَ!» وفي آية ٢٣ «فَذَاعَ هٰذَا ٱلْقَوْلُ بَيْنَ ٱلْإِخْوَةِ: إِنَّ ذٰلِكَ ٱلتِّلْمِيذَ لَا يَمُوتُ. وَلٰكِنْ لَمْ يَقُلْ لَهُ يَسُوعُ إِنَّهُ لَا يَمُوتُ، بَلْ: «إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ، فَمَاذَا لَكَ؟».

قال المفسرون: استنتج بعضهم من هذه العبارة أنَّ يوحنا لن يموت. (٢) ذهب البعض الآخر إلى أن المسيح أشار إلى أنَّ يوحنا يبقى على قيد الحياة إلى أن يأتي المسيح ويخرِّب أورشليم، وقد تمَّت هذه النبوة، فإنَّ بطرس الرسول الذي كان أكبر الرُّسُل سِنًّا نال الشهادة في سنة ٦٤م وكان ذلك قبل خراب أورشليم بست سنين، وعاش يوحنا بعد خراب أورشليم ثلاثين سنة ولم يرَ أحدٌ من الاثنى عشر تلميذًا خراب أورشليم غيره. (٣) قال كثير من أئمة الدين المسيحي مثل أوغسطين و(بيد) إنَّ معنى الآية هو: إن كنتُ أشاء أنَّه يبقى حتَّى أجيء وأخذه بالموت الطبيعي فماذا لك؟ اتبعني! والحاصل إنَّه أجمع جميع القدماء بأنَّه إذا كان يوحنا مات فهو التلميذ الوحيد الذي مات موتًا طبيعيًا. (٤) ذهب البعض إلى أنَّ المسيح أخذ بطرس ورغب أن يعلِّمه على انفراد، ولما رأى بطرس أنَّ يوحنا يتبعهما ورغب أن يعرف إذا كان يأتي معهما، فأجاب المسيح بأن يلبث يوحنا في مكانه إلى أن يرجع.

الترجمة الصحيحة

340 من 120 صفحة

قال «بارنس» مفسِّراً قوله: «فذاع هذا القول بين الإخوة إنَّ ذلك التلميذ لا يموت. إنَّ هذا الخطأ نشأ طبعًا أوَّلاً من أقوال المسيح التي يمكن أن تُفهَم بسهولة إنَّه لا يموت، وإن كان هذا الفهم غير موافق للمراد. (ثانيًا) الأرجح إنَّ هذا القول تأيَّد لما رؤى أنَّ يوحنا عاش بعد جميع الرُّسل ونجا من جميع أخطار الاضطهاد وعاش بسلام في أفسس. فرأى يوحنا أنَّ من المناسب تصحيح هذا الخطأ قبل وفاته، ودوَّن ما قاله المسيح وما أراده. قال هنري وسكوت «نتعلَّم من هذا أنَّ التقاليد (أي الروايات التي ينقلها السلف عن الخلف ليست مبنية على اليقين، وبناء الإيمان عليها هو جهل وحماقة. فهنا تقليد رسولي وهو قول شاع بين الإخوة، وكان قديمًا وشائعًا ومتواترًا ومع ذلك فلم يكن صحيحًا فكم بالحري لا يجوز الاعتماد والارتكان على التقاليد غير المسطرة ومدوَّنة في بطون الأوراق! فهنا كان شرح تقليدي لفقرة من الكتاب المقدَّس، فلم يأتِ أحدٌ بقول جديد زاده على أقوال المسيح، ولكنه تفسير فسَّره الإخوة عن قول قاله حقيقة ومع ذلك فكان هذا التفسير غير موافق للمراد. فليكُن الكتاب المقدَّس مفسِّراً وشارحًا لذاته لأنَّه هو دليل نفسه».

فانظر إلى سهولة تصحيح مثل هذه الأخطاء بالتمسُّك بكلمة المسيح، فالرسول صحَّح ما شاع بين الإخوة بإعادة ذات كلمات المسيح وهي تتكلَّم عن نفسها ولا يجوز أن نؤوِّل أو نفسِّر إلَّا ما كان صحيحًا وطبيعيًا. وأحسن حاسم لمشاحنات الناس هو المحافظة على أقوال الكتاب المقدَّس الصريحة وعلينا أن نتكلَّم ونفتكر حسب تلك الكلمة إشعياء ٨: ٢٠ «إِلَى ٱلشَّرِيعَةِ وَإِلَى ٱلشَّهَادَةِ. إِنْ لَمْ يَقُولُوا مِثْلَ هٰذَا ٱلْقَوْلِ فَلَيْسَ لَهُمْ فَجْرٌ!» فأقوال الكتاب المقدَّس هي أنسب واسطة لفَهم حقائقه والأقوال التي يعلِّمها الروح القدس (١كورنثوس ٢: ١٣). قال على الحاشية: قوله: «أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ» يشير إلى القضاء أي الهلاك الذي حلَّ بالأمَّة اليهودية، وكان نبوَّة تنبيء بأنَّ

عدد الصفحات 120 صفحة من 340

يوحنا يعيش إلى بعد هذه المدة وقد تمَّ ذلك فعلاً، ولما كان التلاميذ جاعلين نصب أعينهم مجيء ربّنا للدينونة أخطأوا في فَهْمِ العبارة كما قال البشير»

فانظر إلى هذه الترجمة الصحيحة المفهومة، وانظر إلى ركاكة عبارات المترجِم وإبهامها تجد الجهل والتعصُّب تتقطران منها. فخلط وحذف الأقوال التي تهدم أركان ديانته، فإنَّ القرآن والأحاديث مأخوذة من التقاليد وصدور الرجال فلا تخلو من الأخطاء، والزيادة والنقصان. ولنرجع إلى ما كُنَّا فيه فنقول: إن التلاميذ كانوا يخطأون في الفهم قبل حلول الروح القدس عليهم وقبل رسالتهم، ولكن لما حلَّ عليهم الروح القدس صاروا معصومين في أقوالهم وتعاليمهم. وقال لهم المسيح يوحنا ١٤: ٢٦: «وَأَمَّا ٱلْمُعَزِّي، ٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ، ٱلَّذِي سَيُرْسِلُهُ ٱلْآبُ بِٱسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ» وقد حصل فعلاً كما قال. ولنضرب مثالاً يوضِّح للمعترض ذلك فنقول: إنَّ محمدًا كان قبل ادِّعاء النبوَّة على عبادة قومه يعبد اللَّات والعُزَّى ومناة الثالثة الأخرى، واستمر على هذه العبادة أربعين سنة بدليل قوله في سورة (الضحى ٩٣: ٧ و٨) ﴿وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى. وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ وبعد ذلك ادَّعى النبوَّة. أما الحواريون فكانوا أهل كتاب، وإنما المسيح علَّمهم ورشحهم لهداية النفوس، فلا يقدح في أنهم لم يكونوا عارفين بعض الحقائق ولكن كان ذلك قبل دعوتهم للرسالة وقبل حلول الروح القدس عليهم. ولم يرد شيء بعد ذلك يوهم أنهم أخطأوا في فَهْمِ تعاليم كلمة الله فإن الروح علَّمهم كل شيء وعصمهم من الخطأ، وهذا بخلاف محمد فكان ضالاً قبل ادِّعاء النبوَّة وكان يخطئ بعدها. فشتَّان بينهم وبين محمد.

حذف المعترض لأقوال بيلي:

قال المعترض: «الفائدة الثانية: سلَّم بيلي أنَّ المعاملات التي هي أجنبية من الدين اختلطت بالأمر الديني اتِّفاقًا لا يلزم من وقوع الغلط فيها

340 صفحة من 420

نقصان ما في الديانة المسيحية».

وللردِّ نقول: شتَّان بين هذا القول وبين كلام بيلي، وهاك ترجمة النَّص لعبارة بيلي: «يلزم التميز بين ما كان غرض الدعوة الرسولية وبين ما كان أجنبيًا خارجًا عنها أو ما اتصل بها عرضًا واتِّفاقًا. أمَّا القضايا الخارجة عن الدين فلا لزوم إلى الكلام عليها، غير أنَّ القضايا التي اتَّصلت بها عرضًا فيلزم الإشارة إليها، فأقول: من هذه القضايا تسلُّط الأرواح النجسة، أمَّا من جهة حقيقتها فلا يمكنني الفصل في هذه القضية فإنَّه فوق طاقتي، وضيق المقام يمنعني من إيراد أدلَّة كل فريق في هذه المسألة. والأمر الذي أريد التنبيه عليه هو أنَّه لو سلَّمنا بقول من ذهب إلى أن هذا الرأي كان شائعًا في تلك الأزمنة وكان خطأ وإنَّ كَتَبَةَ العهد الجديد جاروا مؤلِّفي اليهود في ذلك العصر وتكلَّموا على هذه القضية حسب اصطلاحهم وعاداتهم وطرق مخاطباتهم وأفكارهم فلا يخشى من ذلك على صدق وصحة الديانة المسيحية. فإنَّ المسيح لم يأتِ بهذا التعليم في الدنيا بل إنَّه ظهر في النصوص المسيحية عرضًا واتِّفاقًا بصفة أنَّه كان رأيًا موجودًا في ذلك العصر وفي تلك البلاد التي كان يهدي الناس فيها، ولم يكن من اختصاصات الوحي تنظيم وترتيب آراء الناس بخصوص تأثير الجواهر الروحية في الأجسام الحيوانية. وعلى كل حال فلا ارتباط بينه وبين التعاليم والشهادات الإلهية فإنَّه إذا أُعِيد للأخرس الأبكم قوَّة النُّطق والبيان فلا يهمّنا معرفة سبب هذا الخرس، فالمرض كان حقيقيًا والشفاء كان واقعيًا ولا يهم إذا كان توضيح الناس لهذا السبب حقيقيًا أم لا. وإنَّما الأمر الحقيقي الواقعي هو التغير الذي حصل للمريض على كل حال لأنَّه كان مشاهدًا بالعيان لا يحتاج إلى برهان».

فانظر إلى هذه الترجمة! فالمعترض أبهم وألبس وأسقط ركنًا هامًا فانعكست المعاني.

قال المعترض: «الفائدة الثالثة: إنَّه سلَّم أنَّ لا نقصان من وقوع الغلط

عدد الصفحات 320

في أدلَّة الحواريين وتشبيهاتهم».

وللردِّ نقول: إنَّ بيلي قال إنَّ الله أوحى إلى الرسل التعاليم الإلهية وأيَّدهم بالآيات البينات، فلا يتصور ولا يُعقَل أنَّ من كان بهذه الصفة يغلط في الأدلَّة والبراهين. فإنَّ الله عصمه من كل غلط وصدَّق عليه بما أجراه على يديه من المعجزات. ثانيًا: لا يمكن أن تكون النتيجة صحيحة إلَّا إذا كانت المقدِّمات صحيحة. فإذا كانت المقدِّمات فاسدة كانت النتائج فاسدة

فإذا سلَّم بصحة نتائج الرسل كما هو صريح عباراته، كانت مقدِّماتهم صحيحة طبعًا.

قال المعترض: «الفائدة الرابعة: إنَّه سلَّم إنَّ تأثير الأرواح الخبيثة ليس واقعيًا بل أمر وهمي وهذا الغلط وُجِدَ في كلام الحواريين والمسيح لأنَّه كان رأيًا عامًا».

وللردِّ نقول: قد ترجمنا عبارة بيلي ولا يُفهَم منها شيء من افتراء المعترض هذا، ففوائده التي استنتجها ساقطة من أوَّلها إلى آخرها. انظر إلى الجهل والتعصُّب.

الافتراء على بعض الأفاضل:

قال المعترض: نقل وارد كاتلك في كتابه المطبوع سنة ١٨٤١م أقوال العلماء المعتبرين من طائفة البروتستانت، وانقل من كلامه تسعة أقوال: (١) قال زونكليس: ليس كلام مندرجًا في رسائل بولس الرسول مقدَّسًا وهو غلط في الأشياء المعدودة. (٢) ينسب مستر فلك إلى بطرس الرسول الغلط وجهله بالإنجيل. (٣) قال داكتركود في المباحثة التي حصلت بينه وبين فادركيم أنَّ بطرس غلط بعد نزول الروح القدس. (٤) قال برنش غلط بطرس وبرنابا بعد نزول الروح وكذا كنيسة أورشليم. (٥) قال جان

صفحة 120 من 340

كالوين إنَّ بطرس زاد بدعة في الكنيسة وألقى الحرية المسيحية في الخوف. (٦) نسب ميكدي برجنس إلى الحواريين ولا سيَّما بولس الغلط. (٧) قال وائي تيكر إنَّ الكنيسة كلها غلطت بعد صعود المسيح ونزول الروح القدس، ليس العوام فقط بل الخواص أيضًا بل الحواريون في دعوة غير الإسرائيليين إلى الملَّة المسيحية. (٨) قال زنكيس: إنَّ أتباع كالوين يقولون: لو جاء بولس في جنوا ويعظ لتركوه وسمعوا قول كالوين. (٩) قال أحد أتباع لوثر: إنَّا نشكُّ في مسألة بولس ولكن لا نشك على مسألة لوثر.

وللردِّ نقول: إن هذه الأقوال التي ذكرها هي افتراء محض، فزونكليس كان مشهورًا بالورع والتقوى، ومن شدَّة حِرصه على معرفة كتاب الله كان يكتبه بخط يده ويحفظه عن ظهر قلب. وقس على ذلك أحوال بعض أولئك الأفاضل. ولما كانت عداوة الكاثوليك للوثر وزونكلس وكالقن وغيرهم أشهر من أن تُذكر لأنَّهم هدموا أركان بدعهم، فحاولوا الحط من قدرهم في أعين الناس لينفِّروهم منهم، فادَّعوا عليهم بدعاوي باطلة وقالوا إنهم ازدروا بكتب الوحي.

على إنَّنا لو سلَّمنا بصحة ما نُسِب إليهم، فليخبرنا ما هي الأخطاء التي وقع فيها بطرس وبولس في البلاغات الإلهية؟ فإنَّ الادِّعاء بدون دليل ولا برهان هو ساقط، فهل دعوة التلاميذ للأمم الوثنية في كنيسة الله وهدايتهم إلى الحق هو خطأ؟! إنَّ هذا هو عين الصواب، بل هو بموجب أمر الله القائل: «فَٱذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ ٱلْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِٱسْمِ ٱلْآبِ وَٱلِٱبْنِ وَٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ» أو هل أخطأوا في أنَّهم عبدوا الأصنام ومدحوها كما فعل محمد؟ أو هل أخطأوا كما أخطأ محمد في المسائل الدينية كتغيير القِبلة المرة بعد الأخرى وفي المعاملات كأخذ الفدية من أسرى بدر، وإذنه للمنافقين؟ أو هل نسوا في الصلاة كما نسى حتى قال: إنَّما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون؟ أو هل زجرهم أحد بقوله: لِمَ تحرِّم ما أحلَّ الله، فنقول إن التلاميذ

عدد الصفحات 120 صفحة من 340

منزَّهون عن ذلك لأن الله عصمهم عن الخطأ والزلل والسهو والنسيان في بلاغاتهم. وزد على ذلك إنَّه لو فُرِض صحة ما عزى إلى زونكلس وغيره فالإيمان المسيحي ليس مبنيًا على أقوال البشر وآرائهم بل على أقوال الله الصادقة.

عينة 120 صفحة من 340

الباب الثالث

الفصل الأول

سلامة الكتاب المقدَّس من شائبة التحريف

عينة 120 صفحة من 340

عدم التحريف المعنوي:

قال المعترض: «التحريف نوعان، لفظي ومعنوي. والمسيحيون يسلِّمون بالتحريف المعنوي لوقوعه عن اليهود في العهد القديم في تفسير الآيات التي تشير إلى المسيح. وعلماء البروتستانت يعترفون بصدوره عن معتقدي البابا في كتب العهدين، كما أن معتقدي البابا يرمونهم بهذا رميًا. والتحريف اللفظي ينكره علماء البروتستانت إنكارًا بليغًا وإنَّا سأثبته».

وللردِّ نقول: إن المسيحيين عامة لا يقولون بتحريف معنوي ولا بتحريف لفظي، غاية الأمر أن كل طائفة تؤيِّد مذهبها من الكتاب المقدَّس بتفسير بعض آياته حسب هواها. فالمصدر منزَّه عن التحريف والتغيير والتبديل، وإنَّما فسَّروا الكتاب المقدَّس وأوَّلوه حسب ميولهم وأهوائهم. وقد حصل في القرآن ما يشبه ذلك، والمعترض يعرف أن الفِرَق الإسلامية كثيرة وقد فسَّر كل فريق أقوال القرآن حسب هواه. ومقتضى هذا القانون الذي سنَّه أن القرآن تحرَّف تحريفًا معنويًا، فإذا رضي لكتابه هذا فنحن لا

نرضى لكتابنا هذا فإنَّه منزَّه عن التحريف.

تحريف القرآن

قال السيوطي: «إنَّ طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذاهب باطلة وعمدوا إلى القرآن فتأوَّلوه على رأيهم وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم. وقد صنَّفوا تفاسير على أصول مذهبهم مثل «تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم» و«الجبائي» و«عبد الجبَّار» و«الزمخشري» وأمثالهم، ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة، يدسُّ البدع في كلامه وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب «الكشاف» ونحوه حتى يروّج على خلق كثير من أهل السُّنَّة كثير من تفاسيرهم الباطلة. وقال ابن النقيب: «التفسير بالرأي على خمسة أقوال: (١) التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير. (٢) تفسير المتشابه الذى لا يعلمه إلَّا الله. (٣) التفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعًا يرد إليه بأي طريق أمكن وإن كان ضعيفًا. (٤) التفسير أنَّ مراد الله كذا على القطع من غير دليل. (٥) التفسير بالاستحسان والهوى». وقال النسفي في عقائده: «النصوص على ظاهرها، والعدول عنها إلى معان يدَّعيها أهل الباطن إلحاد». قال التفتازاني في شرحه: «سُمِّيت الملاحدة باطنة لادِّعائهم أنَّ النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان باطنة لا يعرفها إلَّا أُولُو العلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية». وتقدم أنَّ علماء المسلمين قالوا إنَّ المبتدع ليس له قصد إلَّا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد بحيث أنَّه متى لاح له شاردة من بعيد اقتنصها أو وجد موضعًا له فيه أدنى مجال سارع إليه. وللملحد تفسير وكذلك للرافضة».

التوراة:

قال المعترض: «عند أهل الكتاب ثلاث نُسَخ من التوراة، الأولى

عينة 120 صفحة من 340

«النسخة العبرية» المعتبرة عند اليهود وعند علماء البروتستانت، والثانية «النسخة اليونانية» وهي التي كانت معتبرة عند المسيحيين لغاية سنة ١٥٠٠م وهي معتبره عند اليونان وكنائس الشرق لغاية الآن. وهاتان النسختان يشتملان على العهد القديم. والثالثة هي «النسخة السامرية» وهي معتبرة عند السامريين، وهى تشتمل على أسفار موسى الخمسة ويشوع والقضاة».

وللردِّ نقول: إنَّ عبارة المعترض تفيد أنَّ للتوراة ثلاث نسخ (أي ثلاثة أصول) والحقيقة هي أنَّ للتوراة نسخة واحدة وهي «العبرية»، وإنَّما قد تُرجِم هذا الأصل العبري إلى اللغة اليونانية، وتقدم في تعليق «المقريزي والتوراة السبعينية» بأن بطليموس أحد الملوك البطالسة طلب من رئيس كهنة اليهود أن يرسل إليه ٧٢ رجلاً عالمًا من أسباط اليهود، بشرط أن يكونوا متضلِّعين في اللغة العبرية واليونانية لترجمة التوراة. فترجموها بغاية الدقة وسُمِّيت «بالترجمة السبعينية» نسبة إلى الاثنين وسبعين عالمًا الذين ترجموها. فالتوراة التي قال عنها المعترض التوراة اليونانية هي ذات التوراة العبرية وإنَّما تُرجِمَت إلى اللغة اليونانية.

أما التوراة السامرية فأصلها أيضًا التوراة العبرية، فإنَّه لما انقسمت ملكة إسرائيل إلى قسمين، انفصل عشرة أسباط من الاثني عشر سبطًا واستقلُّوا واتَّحدوا مع الأمم الوثنية، ولما سبى شلمناصر ملك أشور سكان السامرة وهم العشرة أسباط والبلاد المجاورة لها أرسل عوضًا عنهم أممًا شتى وأتوا بأصنامهم معهم، فاختلط من بقي من الإسرائيليين بهم وصاروا شعبًا واحدًا (٢ملوك ١٧:٢٤) فكرههم اليهود وازدروا بهم، ومما زاد الوحشة والبغضاء بين الفريقين هو أن السامريين لم يتمسَّكوا إلَّا بخمسة أسفار موسى ويشوع ونبذوا باقي كتب الأنبياء، وذلك فإنَّه كان أرسل إليهم أحد كهنة اليهود من بابل ليعلِّمهم الدين الحقيقي فقبلوا منه خمسة أسفار موسى فقط (٢ملوك ١٧: ٢٨ و٢٨) وترجموها إلى لغتهم. ولما عاد بنو إسرائيل من

عينة 120 صفحة من 340

السبي وشرعوا في بناء أورشليم والهيكل رفضوا مساعدة السامريين لهم (عزرا ٤: ١ - ٤) فوشوا بهم ودسُّوا فيهم الدسائس عند ملوك الفرس (عزرا ٤: ٥ ونحميا ٤: ١ - ٨). فقطع السامريون العلاقات بينهم وبين اليهود وأقاموا هيكلاً على جبل جرزيم وقدَّموا الذبائح على جبل عِيبال كما قال موسى في تثنية ٢٧. فزادت العداوة بين الفريقين.

فيتضح من هذا أنَّه لا يوجد سوى توراة واحدة وهي «العبرية» وإنَّ التوراة اليونانية هي ترجمتها وكذلك التوراة السامرية أو بالحري خمسة أسفار موسى ويشوع فإنَّها تُرجِمَت إلى اللغة السامرية. وعلى كل حال فالتوراة العبرية هي الأصل الذي يُعوَّل عليه.

بيان سِنِي الآباء:

قال المعترض: «إنَّ الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوح حسب العبرية ١٦٥٥، وحسب اليونانية ٢٢٦٢ وحسب السامرية ١٣٠٧. ثم أورد جدولاً من هنري واسكوت بيان أعمار الآباء».

وللردِّ نقول: إنَّ التوراة العبرانية والسبعينية والسامرية تختلف كثيرًا من جهة طول المدة من الخليقة إلى الطوفان. والمدة التي تتلوها أي من الطوفان إلى دعوة إبراهيم ومن ثمَّ فصاعدًا إلى مجيءِ المسيح لا يوجد بين جميع المؤَرخين إلَّا فرق زهيد لا يعتدُّ بهِ.

وهذا الجدول يُرِي الفرق في تاريخ المدة التي بين آدم والطوفان في نُسَخ التوراة الثلاثة المذكورة آنفًا التي نتوصل إليها بضم حياة كلٍّ من الآباءِ قبل ولادتهِ البكر معًا وإضافة عمر نوح في سنة الطوفان إلى مجموعها.

عينة 120 صفحة من 340

سلسلة البطاركة قبل الطوفان	حياتهم عند ولادة البكر			حياتهم بعد ولادة البكر			طول حياتهم		
	عبرية	سامرية	سبعينية	عبرية	سامرية	سبعينية	عبرية	سامرية	سبعينية
آدم	١٣٠	١٣٠	٢٣٠	٨٠٠	٨٠٠	٧٠٠	٩٣٠	٩٣٠	٩٣٠
شيث	١٠٥	١٠٥	٢٠٥	٨٠٧	٨٠٧	٧٠٧	٩١٢	٩١٢	٩١٢
انوش	٩٠	٩٠	١٩٠	٨١٥	٨١٥	٧١٥	٩٠٥	٩٠٥	٩٠٥
قينان	٧٠	٧٠	١٧٠	٨٤٠	٨٤٠	٧٤٠	٩١٠	٩١٠	٩١٠
مهللئيل	٦٥	٦٥	١٦٥	٨٣٠	٨٣٠	٧٣٠	٨٩٥	٨٩٥	٨٩٥
يارد	١٦٢	٦٢	١٦٢	٨٠٠	٧٨٥	٨٠٠	٩٦٢	٨٤٧	٩٦٢
اخنوخ	٦٥	٦٥	١٦٥	٣٠٠	٣٠٠	٢٠٠	٣٦٥	٣٦٥	٣٦٥
متوشالح	١٨٧	٦٧	١٨٧	٧٨٢	٦٥٣	٧٨٢	٩٦٩	٧٢٠	٩٦٩
لامك	١٨٢	٥٣	١٨٨	٥٩٥	٦٠٠	٥٩٥	٧٧٧	٦٥٣	٧٥٣
نوح	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠	٣٥٠	٣٥٠	٣٥٠	٩٥٠	٩٥٠	٩٥٠
المجموع	١٦٥٦	١٣٠٧	٢٢٦٢						

فالأمر واضحٌ من هذا الجدول أنَّهُ لا فرق في ترتيب الأسماءِ ولكنهُ يوجد فرقٌ عظيمٌ في عدد السنين إذ أنَّها بموجب النسخة السبعينية تزيد نحو ست مئة سنةٍ عمَّا هي في العبرية وبموجب السامرية تنقص ثلث مئَة وخمسين سنة.

والأمر واضحٌ أيضًا أنَّ الخلاف بين العبرية والسبعينية هو بالقصد. فإن السبعينية تزيد بالترتيب مئَة سنة على حياة كلٍّ من آدم وشيث وأنوش وقينان ومهللئيل وأخنوخ عند ولادة البكر وتنقص هذا المقدار من حياة كلٍّ منهم بعد ذلك. ولذلك تتفق مع العبرية في طول حياتهم. والسامرية

بقية 120 صفحة من 340

تنقص مئة سنة من حياة كلٍّ من يارد ومتوشالح قبل ولادة البكر. وأما اختلاف السبعينية والسامرية عن العبرية في حياة لامك فواضحٌ أنهُ قد حدث على سبيل الاتفاق بدون قصدٍ. ولا شك في أن الأصل العبري هو الصحيح والمُعتمَد عليهِ لما سيأتي:

(١) لأنَّ التوراة العبرية كانت دائمًا مُعتبرة عند اليهود أنَّها هي الأقدس لأنَّها كانت الأصل وليست ترجمةً. وكانوا ينسخونها بالاعتناءِ الكلِّيّ وتغيير حرفٍ واحد منها بالقصد كان يُحسَب عندهم ذنبًا باهظًا.

(٢) بيان أنَّ الأصل العبري متى اختلفت عنهُ السبعينية تتَّفق معهُ السامرية ومتى اختلفت عنهُ السامرية تتفق معهُ السبعينية. فتتفق معهُ السامرية دون السبعينية في آدم وشيث وأنوش وقينان ومهللئيل وأخنوخ والسبعينية دون السامرية في يارد ومتوشالح ولامك. فيكون إذًا الأصل العبري متوسطًا بينهما ومثبِّتا من كليهما إذ أنَّ كلًّا منهما تشهد لهُ ضدَّ الأخرى.

(٣) إنَّ شهادة النُّسخ القديمة المتنوعة المخطوطة تؤَيِّد صحة تاريخ الأصل العبري. فإن إيرونيموس الذي عاش في الجيل الرابع يقرِّر صريحًا اتِّفاق السامرية مع العبرية في وقتهِ في حياة متوشالح ولامك. ويوسيفوس المؤَرّخ اليهودي يتبع في تاريخهِ الترجمة السبعينيّة، وفي مؤَلفاتهِ عن الأجيال القديمة الأصل العبري إلَّا قليلاً.

(٤) إنَّ جميع النُّسخ العبرية المخطوطة تتَّفق معًا ولكن ليس كذلك النُّسخ السبعينيَّة والسامريَّة.

(٥) إنَّ المرجَّح عند الجمهور أنَّ التغيير في السبعينية قد أحدثهُ بالقصد اليهود في الإسكندرية وذلك لكي يثبتوا رأيهم الذي تمسَّكوا بهِ جدًا أنَّ المسيح لا يظهر إلَّا بعد مضيّ ستة آلاف سنةٍ من الخليقة.

(٦) إنَّهُ ممَّا يستحقُّ الاعتبار أنَّهم قد وجدوا نسخةً من الكتب المقدَّسة

عينة 120 صفحة من 340

سنة ١٨١٩م عند المسيحيين في مَلَبار في الهند وهي تتفق تمامًا مع الأصل العبري. وقد شهد العلماءُ أنَّها وصلت إليهم مجردة من كل علاقةٍ مع الترجمات المعروفة الآن في أوروبا وإذ ذاك فلا ريب في أنَّها تُحسَب من جملة البينات القاطعة على صحة الأصل العبري.

وبما أنَّ تعاليم الوحي ليس لها علاقةٌ ضرورية مع التاريخ كعلمٍ ينتج لنا بالضرورة أنَّ تلك المُدَّات القديمة التي ليس لنا عنها إلَّا أخبار قليلة إن كانت أطول أو أقصر مما هي يبقى التعليم كما هو وتاريخ أعمال الله مع بني البشر لا يفقد شيئًا من قوتهِ وصحتهِ كتاريخ الحق.

جبل عيبال وجرزيم:

قال المعترض: «ورد في تثنية ٢٧: ٤ في النسخة العبرية ما نصه: «حِينَ تَعْبُرُونَ ٱلْأُرْدُنَّ، تُقِيمُونَ هٰذِهِ ٱلْحِجَارَةَ ٱلَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا ٱلْيَوْمَ فِي جَبَلِ عِيبَالَ، وَتُكَلِّسُهَا بِٱلْكِلْسِ» وفي النسخه السامرية «جرزيم» عوضًا عن «عيبال». وعيبال وجرزيم جبلان متقابلان كما في آية ١٢ و١٣ وفي أصحاح ١١: ٢٩. وقال إن المحقِّق كنيكوت يدَّعي صحة السامرية وغيره يدَّعي صحة العبرية، وعلى كل حال فلا ينكر أنَّ جرزيم ذو عيون وحدائق ونباتات كثيرة وعيبال جبل يابس، فلذا كان الجبل الأول مناسبًا لإسماع البركة والثاني مناسبًا لإسماع اللعنة».

وللردِّ نقول: إنَّ موسى أوصى بني إسرائيل بأنَّهم متى عبروا الأردن يقيمون حجارة في جبل عيبال ويكلِّسونها بالكِلس، ويبنون مذبحًا ويُصعِدون عليها ذبائح (تثنية ١١: ٢٩ و٢٧: ٤ و١٣)، وينقسمون إلى قسمين: فريق يقف على جبل جرزيم وينطق بالبركات لمن يحفظ شريعة الله، وفريق يقف على جبل عيبال وينطق باللَّعنات على من لم يحفظ الشريعة. هذا كل ما ورد بخصوصهما في التوراة. فكلّ من اليهود والسامريين متَّفِقان على

عدد الصفحات 340 من 120

أن عيبال هو الجبل الذي نُطِقَت عليه اللعنات وجرزيم هو الجبل الذي نُطِقت فيه البركات. (ثانيًا) اختلفوا في الجبل الذي أقيم عليه المذبح، فالله أمر اليهود بإقامة المذبح على جبل عيبال، فحرَّف السامريون ذلك وقالوا إنَّ الله أمر بإقامة المذبح على جرزيم ولكن أجمع جميع المحقِّقين والمدققين ما عدا كنيكوت على أنَّ العبرية هي الصحيحة الواجب التعويل عليها. جميع النُّسخ العبرية وترجماتها القديمة موافقة لها ومما يؤيدها ما ورد في (يشوع ٨: ٣٠) غير أنَّ كنيكوت أتى بأقوال سقيمة غير مقبولة ولا معقولة لتأييد مذهبه الساقط. وتوجد بواعث تحمل السامريين على تغيير النَّص، فلم يكتفوا بكون جرزيم جبل البركة بل جعلوه جبل المذبح ورسم الشريعة أيضًا. ولا يخفى أنَّ كل فريق يرغب أن ينسب إلى البيت الذي يكون قِبْلته كل شرف وتعظيم كما نسب محمد إلى الكعبة كل عظم وشرف.

فإذا وضع السامريون جرزيم مكان عيبال في التوراة السامرية، فتكون كذبة واحدة لا تُعَدُّ شيئًا بالنسبة إلى الأكاذيب التي قالها محمد في القرآن والأحاديث عن الكعبة! بل إنَّ أقواله في البيت الحرام تُعَدُّ من الخرافات المضحكة، ويكفي قراءة أي كتاب عن تاريخ الكعبة. ومن غرائب القرآن ادِّعاؤه بأنَّ إبرهيم بنى البيت وغير ذلك.

هيكل جرزيم:

قال يوسيفوس: اقترن منسى أخ يادوس الذي كان وقتئذٍ رئيس كهنة بابنة سنبلاط الكوني (٢ملوك ١٧: ٢٤) فحنق اليهود من هذه المصاهرة لأن اقتران يهودي بأممية كان غير جائز (عزرا ٩: ٢، ونحميا ١٣: ٢٣). فبذل سنبالاط الجهد في إرضاء اليهود بأن نال إذْنًا من الإسكندر ذي القرنين لبناء هيكل على جبل جرزيم وتعيين كهنة وبناء مذبح، وعارضوا به أورشليم وسمُّوه باسم إله يوناني، ولما توفّي أنطوخيوس سيديتس خلا الجو لهركانوس

عبة 120 صفحة من 340

فكان أول عمل عمله الاستيلاء على شكيم وتخريب الهيكل بعد أن بقي ٢٠٠ سنة ومع ذلك فلا يزال جرزيم للسامريين مثل بيت المقدس لليهود ومكة للمسلمين.

فثبت مما تقدَّم أنَّ التوراة العبرية التي هي الأصل باقية على أصلها لم يعترها أدنى تحريف ولا تغيير ولا تبديل. وإنَّه لو حرَّف اليهود شيئًا لجعلوا جبل البركة جبل اللعنة لكيد السامريين ولكنهم أبقوا كل شيء على أصله. ولكن لما اختلط السامريون بالأمم لم يعرفوا قيمة الديانة الحقيقية؛ فتصرَّفوا حسب أهوائهم في ترجمتهم. ولم يكتفوا بكون جرزيم هو جبل البركة بل جعلوه أيضا جبل المذبح والشريعة، وهو تعصُّب ظاهر ويشبهون في فعلهم من بعض الوجوه محمدًا، فإنَّه جعل الكعبة من أشرف البقاع وإنَّ الملائكة والأنبياء حجُّوا إليها مع أنَّها من أنجس بيوت الأصنام كما قال المسعودي.

صفحة من 340 نسخة 120

الفصل الثاني

في الردِّ على اعتراضاته المكرَّرة

عينة 120 صفحة من 340

قطعان الغنم والرعاة:

قال المعترض: «ورد في (تكوين ٢٩: ٢) «وَنَظَرَ وَإِذَا فِي ٱلْحَقْلِ بِئْرٌ وَهُنَاكَ ثَلَاثَةُ قُطْعَانِ غَنَمٍ رَابِضَةٌ عِنْدَهَا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ تِلْكَ ٱلْبِئْرِ يَسْقُونَ ٱلْقُطْعَانَ، وَٱلْحَجَرُ عَلَى فَمِ ٱلْبِئْرِ كَانَ كَبِيرًا». وفي آية ٨ «فَقَالُوا: «لَا نَقْدِرُ حَتَّى تَجْتَمِعَ جَمِيعُ ٱلْقُطْعَانِ». ففي الآية الثانية والثامنة وقع لفظ قطعان غنم، والصحيح لفظ الرعاة بدلهما كما في النسخة السامرية واليونانية. فقال كنيكوت وهو بيجانت: «لعل لفظ ثلاثة رعاة كانوا هناك».

وللردِّ نقول: إنَّ الضمير في قوله «كَانُوا مِنْ تِلْكَ ٱلْبِئْرِ يَسْقُونَ ٱلْقُطْعَانَ» عائد على الرعاة المفهوم من سياق الكلام، وهذا أمر معهود في اللغة، ورد في الواقعة ٥٦: ٨٣ ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ أى النفس. وورد في القيامة ٧٥: ٢٦ : ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ أي النفس، قال علماء المسلمين: أضمر الروح أو النفس لدلالة الحلقوم والتراقي عليها. وورد في سورة ص ٣٨: ٣٢: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ أي الشمس، لدلالة الحجاب عليها. ففي هذه الأمثلة عاد الضمير على اسم ظاهر غير مذكور في الكلام، وإنَّما فُهِمَ من سياقه. وقد يدل على الاسم الظاهر سياق الكلام، كقوله في الرحمن ٥٥: ٢٦: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (أي الأرض) وهي غير مذكورة في الكلام السابق.

وكذلك ورد في الرحمن ٣٥: ٤٥: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾ (أي الدنيا) وهي غير مذكورة في الكلام السابق. وفي النساء ٤: ١١: و﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ (أي الميت) ولم يتقدم له ذكر. قال علماء المسلمين: لابد للضمير من مرجع يعود إليه، ويكون ملفوظًا به سابقًا مطابقًا، نحو ﴿ونادى نوح ابنه﴾ و﴿عصى آدم ربه﴾، أو متضمنًا له نحو ﴿اعدلوا هو أقرب﴾ فإنه عائد على العدل المتضمن له: اعدلوا، أو دالاً عليه بالالتزام نحو ﴿إِنَّا أنزلناه﴾ (أي القرآن) لأن الإنزال يدل عليه التزامًا.

فيتضح للمتأمل أنَّ عبارة التوراة العبرية هي صحيحة، أمَّا المترجم في السامرية أو اليونانية فأراد التوضيح، فذكر الاسم المظهر للدلالة عليه. وهذا مثل ترجمتهم قوله «توارت بالحجاب» في القرآن بقولهم «الشمس» فإنَّ المترجم تارة يزيد بعض عبارات من عنده على الأصل للتوضيح والبيان، إذ يتعذر عليه مطابقة الأصل تمامًا، كما فعل مترجمو القرآن. فإذا قال بعض المفسرين المسيحيين غير ما تقدم كان قولهم ناشئًا عن عدم معرفتهم باصطلاحات اللغة الشرقية وعلم الترجمة، أو من الجهل والغرور. ويرى المتأمل أنَّ عبارة السامرية تدل على أنَّها مُترجَمة وليست بأصل، وإنَّ المترجم تصرَّف في الترجمة للإيضاح كما يفعل مترجم القرآن والحديث.

سبع سنين:

قال المعترض: «ورد في ٢صموئيل ٢٤: ١٣ «فَأَتَى جَادُ إِلَى دَاوُدَ وَأَخبَرَهُ وَقَالَ لَهُ: «أَتَأْتِي عَلَيْكَ سَبْعُ سِنِي جُوعٍ فِي أَرْضِكَ» وفي ١أخبار ٢١: ١٢ ثلاث سنين جوع «إِمَّا ثَلَاثَ سِنِينَ جُوعٌ» وأحدهما غلط.

وللردِّ نقول: إنَّ النبي في سفر أخبار الأيام راعى شدة الجوع والقحط وهي ثلاث سنين، أمَّا صموئيل النبي فأضاف إليها الطرفين، فأضاف إلى الطرف الأول سنتين وأضاف إلى الطرف الثاني سنتين

340 من 120 صفحة عينة

أخريين. فإنَّه لا بُدّ أن يسبق شدة القحط سنتان يكون فيهما القحط خفيفاً نوعًا ثم يشتد ثلاث سنين، وبعد هذه المدة يأخذ في التناقص شيئًا فشيئًا، ولا ينتهي إلَّا بعد الزرع والقلع، ويلزم لذلك نحو سنتين. فأحد النبيين اقتصر على ذكر شدَّة القحط، وهي ثلاث سنين، أما صموئيل النبي فذكر كل المدة بطرفيها، فإنَّ القحط من الأشياء التي تأتي بالتدريج وتزول بالتدريج.

وإذا قيل ما هي الحكمة في اقتصاره على ذكر ثلاث سنين، قلنا إن الحكمة في ذلك هي المشاكلة، فإنَّه قال: «ثَلَاثَةً أَنَا عَارِضٌ عَلَيْكَ فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ وَاحِدًا مِنْهَا. إما ثلاث سنين جوع، أو ثلاثة أشهر هلاك أمام مضايقيك وسيف أعدائك يدركك، أو ثلاثة أيام يكون فيها سيف الرب وباء في الأرض». فذكره الثلاثة في كل المواضع هو من باب المشاكلة، وهو ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا.

فالأول كقول القرآن: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (المائدة ٥: ١١٦) و﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران ٣: ٥٤). فإن إطلاق النفس والمكر في جانب الله لمشاكلة ما معه، وكذا قوله: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (الشورى ٤٢: ٤٠) لأن الجزاء حق لا يوصف بأنه سيئة ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ (البقرة ٢: ١٩٤) ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا﴾ (الأعراف ٧: ٥١) و﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ (التوبة ٩: ٧٩). ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ (البقرة ٢: ١٥).

والتقديرى كقوله «صبغة الله» أي تطهير الله لأن الإيمان يطهِّر النفوس، وهو مأخوذ من معمودية المسيحيين، فعبَّر عن الإيمان بصبغة الله للمشاكلة.

فكذلك عبَّر النبي بلفظة ثلاثة في جميع المحال للمشاكلة، وصرف

عينة 120 صفحة من 340

النظر عن طرفي المدة وهما سنتان قبل القحط الشديد وسنتان بعده.

النقل بالمعنى:

قال المعترض: «ورد في مزمور ٤٠: ٦ «أُذُنَيَّ فَتَحْتَ». فنقل بولس الرسول هذه الجملة في عبرانيين ١٠: ٥ «هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا». فقال هنري واسكوت: «إن هذا الفرق وقع من غلط الكاتب، وأحد المطلبَيْن صحيح». وقال آدم كلارك: «المتن العبري محرَّف».

وللردِّ نقول: نقل المعترض الأقوال السقيمة - بينما أجمع العلماء على أنَّ بولس الرسول نقل عبارة النبي داود بالمعنى. بل أنَّ ذات آدم كلارك قال في تفسيره على رسالة العبرانيين: إنَّ المعنى في الجميع واحد. ويجوز النقل بالمعنى. وقرَّر علماء الأصول كما في «جمع الجوامع» جزء ٢ صحيفة ١١٣: إنه يجوز نقل الحديث بالمعنى للعارف بمدلولات الألفاظ أو مواقع الكلام، بأن يأتي بلفظ بدل آخر مساوٍ له في المراد منه وفهمه، لأنَّ المقصود المعنى، واللفظ آلة له. وسواء في الجواز نسى الراوي اللفظ أم لا. وهذا الكلام يشمل الأحاديث القدسية. ومن الأدلة السمعية على جواز نقل الحديث بالمعنى ما روى الطبراني وغيره من حديث عبدالله بن سليمان الليثي، فإن قلت: يا رسول الله، إني أسمع منك الحديث لا استطيع أن أرويه كما أسمعه منك، يزيد حرفًا أو ينقص حرفًا. فقال: «إذا لم تحلّوا حرامًا ولم تحرّموا حلالاً وأصبتم المعنى فلا بأس. فذكر ذلك للحسن. فقال: «لولا هذا ما حدَّثنا، والحديث بمنزلة القرآن».

ومعنى قوله «أُذُنَيَّ فَتَحْتَ» جعلْتني مطيعًا بالاختيار، فإنَّ الأذن هو العضو الدال على الطاعة والانقياد. وهذه العبارة مأخوذة من العادة التي كانت جارية عند العبرانيين وهي كما ورد في خروج ٢١: ٢ « إِذَا ٱشْتَرَيْتَ عَبْدًا عِبْرَانِيًّا، فَسِتَّ سِنِينَ يَخْدِمُ، وَفِي ٱلسَّابِعَةِ يَخْرُجُ حُرًّا مَجَّانًا» وفي آية ٥

عبارة عن 120 صفحة
340

«وَلٰكِنْ إِنْ قَالَ ٱلْعَبْدُ: أُحِبُّ سَيِّدِي وَٱمْرَأَتِي وَأَوْلَادِي، لَا أَخْرُجُ حُرًّا، يُقَدِّمُهُ سَيِّدُهُ إِلَى ٱللهِ، وَيُقَرِّبُهُ إِلَى ٱلْبَابِ أَوْ إِلَى ٱلْقَائِمَةِ، وَيَثْقُبُ سَيِّدُهُ أُذْنَهُ بِٱلْمِثْقَبِ، فَيَخْدِمُهُ إِلَى ٱلْأَبَدِ». فالكلمة الأزلي يسوع المسيح اتَّخذ جسدًا باختياره وقدَّم نفسه ذبيحة وكفَّارة عن خطايانا من تلقاء ذاته. فإنَّ جميع الذبائح التي كانت تشير إليه لم تكن كافية للتكفير عن الخطايا.

فعبارة النبي داود وعبارة بولس الرسول مطابقتان على أنَّ المسيح تجسَّد للتكفير عن الخطايا باختياره. إذًا عبارة النبي داود صحيحة، وبولس الرسول أعرب عن المعنى الذي قصده الروح القدس، فلم يأخذ قوله من الترجمة السبعينية، بل فسَّر المعنى العبري. ولولا ضيق المقام لأفضنا الكلام.

النفي والإثبات:

قال المعترض: «ورد في مزمور ١٠٥: ٢٨ «وَلَمْ يَعْصَوْا كَلَامَهُ» في العبرية، وفي اليونانية «هم عصوا قوله» ففي الأولى نفي وفي الثانية إثبات فأحدهما غلط يقينًا».

وللردِّ نقول: تقدَّم إنَّ المعتمد عليه هو التوراة العبرية، وعبارتها هي الحق. فقوله في آية ٢٨ «أَرْسَلَ ظُلْمَةً فَأَظْلَمَتْ، وَلَمْ يَعْصَوْا كَلَامَهُ» يعني أنَّ بني إسرائيل امتثلوا الأمر وصدَّقوا كلام الله. على أنَّه لو فرضنا صحة عبارة الترجمة السبعينية لكان المراد أنَّ المصريين خالفوا كلام الله، وكل من هذين المعنيين صحيح لا ريب فيه. فالإسرائيليون صدَّقوا الكلام والمصريون خالفوه.

فالعبارة صحيحة على كل حال وهي أحسن من قول القرآن ﴿لَا أُقْسِمُ بِهٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ فأخبر أنَّه لا يقسم به كما في سورة (البلد ٩٠: ١) ثم أقسم به في سورة (التين ٩٥: ٣) ﴿وَهٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ حتى قال علماء المسلمين إنَّ العرب تدخل لا في أثناء كلامها وتلغي معناها. وكذلك ورد قوله في سورة

عينة 120 صفحة من 340

(الحاقة ٦٩: ٣٨) ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ فقال المفسِّرون لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق بالقسم أو فاقسم ولا مزيدة أو (فلا) رد لإنكارهم البعث وأقسم كلام مستأنف، وورد في سورة (الواقعة ٥٦:٧٥) ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ قال المفسِّرون إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم أو فاقسم ولا مزيدة للتأكيد كما في لئلَّا يعلم أو فلأنّا اقسم فحذف المبتدأ الذي هو أنا وأشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه أنه قرئ فلأقسم أو (فلا) رد لكلام يخالف المقسم عليه. وقس على ذلك قوله في سورة (القيامة ٧٥:١) ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ﴾ وورد قوله في سورة (الحديد ٥٧:٢٩) ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ﴾ فقال البيضاوي وغيره أي ليعلموا ولا مزيدة، قال ويؤيده أنه قُرئ ليعلم ولكي يعلم ولأن يعلم بادغام النون في الياء. ولا شك أنَّ عبارات القرآن غلط لأن العبارة الواحدة منافية للأخرى على خط مستقيم بخلاف عبارة التوراة.

أولاد بنيامين:

قال المعترض: «ورد في ١أخبار ٧: ٦ «لِبَنْيَامِينَ: بَالَعُ وَبَاكَرُ وَيَدِيعَئِيلُ. ثَلَاثَةٌ». وفي ١أخبار ٨: ١ و٢ «وَبَنْيَامِينُ وَلَدَ: بَالَعَ بِكْرَهُ، وَأَشْبِيلَ ٱلثَّانِي، وَأَخْرَخَ ٱلثَّالِثَ، وَنُوحَةَ ٱلرَّابِعَ، وَرَافَا ٱلْخَامِسَ». وفي تكوين ٤٦: ٢١ «وَبَنُو بَنْيَامِينَ: بَالَعُ وَبَاكَرُ وَأَشْبِيلُ وَجِيرَا وَنَعْمَانُ وَإِيحِي وَرُوشُ وَمُفِّيمُ وَحُفِّيمُ وَأَرْدُ». فما هو عدد أولاد بنيامين الحقيقي؟».

وللردِّ نقول: (١) ذُكر في ١أخبار ٧: ٦ أنَّ ذرِّية بنيامين ثلاثة، وورد في تكوين ٤٦: ٢١ أنَّهم عشرة. وسبب هذا الفرق هو أنه في سفر التكوين ذكر أولاد بنيامين وأولاد أولاده، وهو أمر معهود بين كل الأمم والقبائل والعشائر، فإن الجد هو الأب الأكبر. والدليل على ذلك أنه ورد في العدد ٢٦: ٤٠ و ١أخبار ٨: ٣ و٤ أن نعمان، وأرد، وجيرا هم أولاد بالع بن بنيامين،

340 صفحة من 420

ونُسِبوا إلى بنيامين لأنه جدهم.

(٢) إذا قيل: ذُكر باكر في التكوين و١أخبار ٧: ٦ ولم يُذكر في العدد ٢٦: ٣٨ - ٤١ ولا في ١أخبار ٨: ١. قلنا: ذُكر باكر في العدد ٢٦: ٣٥ من سبط أفرايم، فإنه اقترن بزوجة من أفرايم، فنُسب إليه ليكون له الحق في الميراث، وإن كان أصله من سبط بنيامين.

(٣) إن يديعئيل المذكور في ١أخبار ٧: ٦ و١٠ هو ذات أشبيل المذكور في التكوين والعدد وفي ١أخبار ٨ ، فقد صارت عشيرته ذات أهمية في عهد داود فسُمّي بهذا الاسم.

(٤) إنَّ ابنين من أولاد بالع وهما أصبون وعيري غير مُدرجين في أماكن أخرى من سبط بنيامين، ولكنهما أُدرجا في تكوين ٤٦: ١٦ وعدد ٢٦: ١٦ من سبط جاد، وذلك لأسباب النَسَب والمصاهرة والميراث.

(٥) ذُكر في ١أخبار ٧: ١٢ أن شفيم وحفيم هما ابنا عير، وهما ذات شفوفام وحوفام المذكورين في عدد ٢٦: ٣٩ وهما ذات شفوفان وحورام المذكورين في ١أخبار ٨: ٥. وذُكر في تكوين ٤٦: ٢١ أنهما مفيم وحفيم. وتعدد الأسماء للشخص الواحد أمر معهود في كل قبيلة وعشيرة، ولا سيما أنه توجد مشابهة بين هذه الأسماء، وهي مثل تشابه لفظة إبراهيم وإبرام وإبراهام، كما يشهد بذلك علماء المسلمين.

فينتج مما تقدَّم أنَّه إذا زاد نبي من الأنبياء على آخر أسماء كان غرضه بذلك ذكر الأبناء وأبناء الأبناء فإنَّهم أبناء. وإذا اقتصر نبي من الأنبياء على شيء قليل نظر إلى اعتبارات أخرى كانتقال الشخص إلى سبط آخر أو موته بدون عقب أو قتله في الحرب كما في سفر (القضاة ٢٠:٤٦) وعلى هذا لا يوجد أدنى تناقض ولا اختلاف بين أقوال الأنبياء. فكل واحد نظر إلى ظروف الزمان والمكان وكَتَبَ ما كَتَبَهُ بإلهام الروح القدس وخاطب

عينة 120 صفحة من 340

أهل عصره باللغة المتداولة بينهم التي كان يطرأ عليها بعض اصطلاحات جديدة في كل عصر. وقد نُسِبَ محمد إلى جده، فكان رجال قريش يقولون: «سحركم بن أبي كبشة» («السيرة الحلبية» جزء أول صفحة ٣٢٥) أي وهو أبو كبشة أحد أجداده من قِبَل أمه، لأن وهب بن عبد مناف بن زهرة جد أبي آمنة أمّه يُكنى أبا كبشة أو هو من قبل مرضعته حليمة لأن والدها أو جدها كان يكنى بذلك، وقيل أبو كبشة جده لأبيه لأن أبا أم جده عبد المطلب كان يُدعى أبا كبشة وكان يعبد النجم الذي يقال له الشعرى.

الجد هو أب الحفيد:

«وكان عبد المطلب نذر بأنَّه إذا رُزِقَ عشرة من الولد الذكور ليذبحن أحدهم عند الكعبة. واستشكل كون أولاد عبد المطلب عند إرادة ذبح عبد الله كانوا عشرة بأن حمزة ثم العباس إنَّما وُلِدَا بعد ذلك وإنما كانوا عشرة بهما. وحينئذ يشكل قول بعضهم فلما تكامل بنوه عشرة وهم الحرث والزبير وحجل وضرار والمقوم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله وأجيب عن الأول بأنَّه يجوز أن يكون له عند إرادة الذبح ولدا ولد (حفيد)، فقد ذكر أن لولده الحرث ولدين أبو سفيان ونوفل وولد الابن يقال له ولد حقيقة» انتهى. (السيرة الحلبية، جزء أول، صفحة ٤١) فالحفيد هو ابن لجده حقيقة، فإذا نسب نبي من الأنبياء الحفيد إلى جده كان قوله صوابًا والمعترض من شدة تعنُّتِهِ تعامى عن هذه الحقائق البديهية.

التوراة وعزرا

قال المعترض: «ورد عن كتب المؤرخين المسيحيين أنَّ عزرا أحرق التوراة وما كان أحد يعلمه. وقيل إنَّ عزرا جمع ما فيه مرة أخرى بإعانة الروح القدس. وقال أكليمندس أسقف الإسكندرية: «إنَّ الكتب السماوية ضاعت، فألهم الله عزرا أن يكتبها مرة أخرى». وقال ترتليان الشهير:

عتبة 120 صفحة من 340

«إن عزرا كتب مجموع الكتب بعد أن أغار أهل بابل على أورشليم». وقال تنيوفلكت: «انعدمت الكتب المقدَّسة فأوجدها عزرا بإلهام الله» وادَّعى أن نسخ الكتاب المقدَّس ضاعت من أيدي عسكر بختنصر ولما ظهرت النقول الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول في حادثة أنطيوخس». انتهى

وللردِّ نقول: إنَّ المعترض نقل هذه الأقوال المتقدِّمة من نورتن وترك باقي الكلام. فإنَّ نورتن قال إنَّ هذه الأقوال هي خرافات عجائز ما أنزل الله بها من سلطان! فإنَّهم لما أرادوا تعظيم عزرا زيادةً عمَّا هو عليه -كما يفعل المسلمون بمحمد- نسبوا إليه أشياء ليست فيه، كقولهم: إنَّ الله أوحى إليه كتابة الكتب المقدَّسة وغير ذلك. فالمعترض ترك الحقائق وتمسَّك بالكلام الباطل. وتقدم في الجزء الأول أنَّ النبي عزرا جمع الكتب المقدَّسة على بعضها وإنَّه لم يجدد شيئًا كان ضائعًا أو مفقودًا.

ومما يدل على أنَّ الكتاب المقدَّس كان موجودًا عند بني إسرائيل هو أنَّهم لما رجعوا من السبي طلبوا من عزرا أن يقرأ في سفر الشريعة. فقرأ على مسامعهم من الصباح إلى نصف النهار كما هو مذكور في سفر (نحميا ٨: ١-٦) فلو لم تكن موجودة فكيف كان يقرأ فيها من الصباح إلى الظهر؟ وفي عهد هوشيا ملك إسرائيل سنة ٦٧٨ق.م. رجع أحد الكهنة الذين كانوا في سبي بابل إلى السامرة ليعلِّم أهلها شريعة موسى. فهل كان يعلِّمهم شيئًا معدومًا؟ فقراءة عزرا في الشريعة من الصباح إلى الظهر، وإرسال كاهن من السبي إلى السامرة لتعليم السامريين يدل على أنَّ بني إسرائيل كانوا يحملون التوراة معهم حيثما توجَّهوا، وكانوا يتعبَّدون بتلاوتها، بل هو من أقوى الأدلَّة على أنَّ الملوك الذين سبوهم لم يتعرَّضوا لديانتهم.

وتقدَّم الكلام في الجزء الأول أنَّه لما خرَّب بختنصر الهيكل لم يمس الكتب المقدَّسة بشيء لأنَّه لم يكن مطمح نظره استئصال ديانتهم، نعم إنَّه أخذ ذخائر الهيكل أما الكتاب المقدَّس فلم يلتفت إليه كما في (٢ملوك

عبد الله 120 صفحة من 340

٢٥ و٢أخبار ٣٦ وإرميا ٥٢) ومما يدل على أنَّ اليهود حملوا كتبهم المقدَّسة معهم في السبي استشهاد النبي دانيال بالشريعة (دانيال ٩: ١١ و١٣) وذكر أيضًا نبوَّات إرميا (دانيال ٩: ٢).

فمن هذه الحقائق التاريخية يرى أنَّ الكتاب المقدَّس كان منتشرًا بين اليهود وكانوا يتعبَّدون بتلاوته حيثما توجَّهوا وأينما حلُّوا وكانت نسخه منتشرة بينهم. وتقدم أنَّ جميع المحققين أجمعوا على ان أنطيوخس أبيفانيوس لم يلاش الكتاب المقدَّس لما خرَّب الهيكل، وإنَّ يهوذا المكابي قام وهزم جيوش ذلك الملك العاتي وأعاد الديانة اليهودية إلى رونقها ومجدها وبنى الهيكل وأعاد التابوت ووضع الكتب المقدَّسة فيه.

صفحة من 340 عينة 120

نتيجة ما تقدَّم

ثبت مما تقدَّم أنَّ كُتُبَ الله منزَّهة عن شوائب التحريف المعنوي واللفظي، وإنَّ التوراة العبرية هي الأصل الواجب الرجوع إليه والتعويل عليه في أعمار الآباء المتقدمين وفي خلق الدنيا، لأنَّها أقدم كتاب في العالم ومنها تُرجِمت النُّسَخ السامرية واليونانية وغيرهما، ولولاها لما عرف أحدٌ شيئًا عن أصل خلق العالم، وإن ما أورده المعترض من الشُّبُهات باطل. فأوضحنا من القرآن أنَّ الضمير يعود على اسم يُفهم من سياق الكلام وإن لم يُذكر مثل قوله «توارت بالحجاب»، وأوضحنا صحة ما ورد في الكتاب المقدَّس من أسماء بعض الأعلام، وإنَّ لفظة إسرائيل تُطلَق على كل يهودي من أي سبط كان. وأوضحنا جواز النقل بالمعنى، وإنَّ العرب تُدخِل «لا» في أثناء كلامها وتلغي معناها، وصحة بعض إحصاء عدد بني إسرائيل ويهوذا المذكورة في التوراة، وصحة بعض الأسماء الأعلام. وأوضحنا أنَّ بني إسرائيل حافظوا ولا يزالون محافظين على كتب الله الموحى بها بغاية العناية والحرص، وإنَّ كتب الوحي مؤيَّدة بالمعجزات والنبوَّات، وإن خمسة أسفار موسى هي باقية كما دوَّنها هذا النبي الجليل القدر، وإن الأسماء والحوادث الواردة فيها تؤيد صحتها. وتقدَّم أيضًا أن الإنجيل الشريف المشتمل على الأقوال الإلهية باقٍ على حاله لم يعتره أدنى تغيير ولا تبديل ولا تحريف ولا تصحيف، وإنَّ ما أورده من الاعتراضات عليها كاعتراضه على لفظة «أيضًا» أو «علانية» أو غير ذلك مما لا يُلتَفَت إليه. فأثبتنا صحة هذه الألفاظ الطفيفة بالأدلَّة الداخلية والخارجية.

أمَّا استشهاده ببعض أقوال المسيحيين الضعيفة والآراء السقيمة فنقول: يوجد في كل أمَّة وطائفة من يقول القول الصحيح ويقول المذهب

340 صفحة من 120 نسخة

الفاسد، فإنَّه من ذا الذي ما ساء قط ومن لهُ الحسنى فقط؟ فالإنسان ضعيف في رأيه وقوله. وها نضرب مثلا يوضح ذلك إن العلماء المتقدمين كانوا يعتقدون بأن الشمس متحركة والأرض ثابتة، وبنوا كتبهم العلمية على هذا الغلط المبين، ولو شذَّ أحد عن هذا الرآي أصبح عرضة لتهكمهم وازدرائهم. ولكن اتضح فساد هذا الرأي بالاكتشافات العلمية الجديدة المبنية على الحقائق اليقينية. فثبت أنَّ الأرض متحركة وأنها كوكب من الكواكب السيارة، وإنَّ الشمس هى مركز هذه الكواكب.

غير أنَّ محمداً سار على المذهب القديم وظنَّ أنَّ الأرض هي ثابتة وأنَّها هي مركز الكواكب! وعلى كل حال فالإنسان محل الخطأ والسهو والنسيان والمولى سبحانه هو المنزَّه وحده عن الخطأ. وكذلك كلامه، فالكتب المقدَّسة هي أشبه بالشمس. فالكتاب المقدَّس باقٍ على سلامته وصحته لا يضره قول باطل ولا يعبث به وهم عاطل، وجميع الاكتشافات التاريخية والجيولوجية والطبيعية والفلكية زادته ثبوتًا وتأييدًا، وقد نسخت الآراء الجديدة والتحقيقات الدقيقة التي توصل إليها العلماء كثيرًا من الآراء التى كانت مبنية على الظن والتخمين.

ولا يخفى أنَّ المعترض أورد كلَّ رأي سقيم وقول باطل قديم، وما دري أنَّ الدنيا في تقدُّمٍ، فكل سنة تظهر حقائق كثيرة بل اكتشافات وأبحاث جديدة، وكلَّما تقدَّم الإنسان خطوة ظهر له جهله وضعفه وتأكَّد أنَّ قول الله هو الحق اليقين لا يشوبه الباطل مطلقًا. ولو كان آدم كلارك أو غيره من القرون الماضية يعيشون في هذا العصر لأقلعوا عن كثير من آرائهم الساقطة بعد اكتشاف المخطوطات وخاصة مخطوطات قمران والبحر الميت. ذلك لا ننكر أنَّ في الكتاب المقدَّس بعض قراءات ولكنها طفيفة بالنسبة إلى قراءات القرآن وهو ما سنوضحه في الفصل التالي.

عدد الصفحات 320 صفحة من 340

الفصل الثامن

اختلاف قراءات القرآن[٥٢]

(١) اختلف علماء المسلمين في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَانِ ٱلرَّحِيمِ﴾. فقال قُرَّاء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها إنَّ البسملة ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور. قال السيد في حاشيته على الكشاف: «أجمعت الأمة على أن التسمية في سورة النمل بعض آية منها، فهي من القرآن قطعًا». واختلفوا في التسمية في أوائل السور، فذهب ابن مسعود ومالك وأبو حنيفة وأتباعه إلى أنها ليست من القرآن، ولذلك لا يُجهر بها عندهم في الصلاة، فتكون في القرآن ١١٣ آية زائدة. أما قُرَّاء مكة والكوفة وفقهاؤها فذهبوا إلى أنها آية ولذلك يجهرون بها. قال ابن عباس: «من تركها فقد ترك ١١٣ آية من القرآن».

(٢) ورد في الفاتحة عدد ٣ ﴿مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾. فقرىء: ملك يوم الدين، ومالك وملك بتخفيف اللام. وقرأ أبو حنيفة: «مَلَكَ يومَ الدين». بلفظ الفعل ونَصْب اليوم. وقرأ أبو هريرة «مالكَ» بالنصب، وقرأ غيره ملك وهو نصب على المدح، ومنهم من قرأ مالكُ بالرفع، وملك هو الاختيار لأنه قراءة أهل الحرمين. وعلى كل حال فهي قراءات مختلفة، فالاسم ليس كالفعل والمرفوع ليس كالمنصوب.

(٣) ورد في الفاتحة آية ٥ ﴿إِيَّاكَ﴾ فقُرئت إيَاكَ بتخفيف الياء، وأَيَّاك بفتح الهمزة والتشديد، وهيّاك بقلب الهمزة هاء. وقال المعترض غير المؤمن

---

٥٢ - معظم أحاديث هذا الفصل أُخذت عن كتابي «المصاحف» للساجستاني و«المصاحف» لابن أشتة.

عينة 120 صفحة من 340

إنَّ بعض أسماء الأعلام في الكتاب المقدَّس فيها اختلاف. فماذا يقول في اختلاف القراءات هذه؟ فإذا كان يقبلها مع أنَّها أركان معتبرة من الكلام، فلماذا لا يقبل بعض الأعلام ويقول إنَّها لغات أيضًا؟

(٤) ورد في الفاتحة ٦ ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَاطَ﴾ فقرأ عبد الله أرشدنا. أما كتابة الصراط فتارة يكتبونها بالصاد وأخرى بالسين.

(٥) ورد في الفاتحة ٧ ﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ فقرأ ابن مسعود «صراط من أنعمت عليهم».

(٦) ورد في الفاتحة ٧ ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقرأ عمر وعلي «وغير الضالين».

(٧) ورد في آخر سورة الفاتحة لفظة ﴿آمين﴾. فقال علماء المسلمين: ليست من القرآن. ولذا قال أبو حنيفة: الواجب عدم الجهر بها.

(٨) نُقل عن عثمان أنَّ عكرمة لما عُرِضَ عليه المصحف وجد فيه حروفًا من اللحن، فقال: «لا تغيّروها، فإن العرب ستقيمها بألسنتها». فلا عجب إذا وُجدت فيه بعض أغلاط نحوية، فإنه إذا كُتب على غير قياس الكتابة فلا بد أن يطرأ عليه الخطأ في كتابته وقراءته، وهذا اعتراف من جامع القرآن بوجود أغلاط فيه.

(٩) ورد في البقرة ٢: ٢ ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَابُ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ فقرأ أبو الشعثاء لا ريبُ فيه بالرفع، والفرق بينهما وبين المشهورة أن المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه. والوقف على فيه هو المشهور، وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على «لا ريب».

(١٠) ورد في البقرة ٢: ٤ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ فقرأ يزيد بن قطب هذه العبارة على لفظ ما سمي فاعله، وقوله يوقنون قرأها أبو حية النميري يؤقنون بقلب الواو همزة.

(١١) ورد في البقرة ٢: ٦ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾

عدد الصفحات 120 صفحة من 340

فقُرىء بتخفيف الهمزتين، والتخفيف أعرب وأكثر، وبتخفيف الثانية بين بين، وبتوسيط ألف بينهما محققتين، وبتوسيطها. والثانية بين بين، وبحذف حرف الاستفهام، وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله.

(١٢) ورد في البقرة ٢: ٧ قوله ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ فقرأ ابن أبي عبلة «وعلى أسماعهم». وقرىء «غِشاوةَ» بالكسر والنصب و«غُشاوةٌ» بالضم والرفع، و«غَشاوةَ» بالفتح والنصب، و«غِشوةٌ» بالكسر والرفع و«غَشُوةَ» بالفتح والرفع والنصب، و«عشاوةٌ» بالعين غير المعجمة والرفع من العشا.

(١٣) ورد في البقرة ٢: ٩ قوله ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ﴾ قرأ أبو حياة «يخدعون». وقوله «وما يخادعون إلّا أنفسهم» قرىء «وما يخدعون» و«يخدّعون» من خدّع «ويَخدعون» بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يُسمَّ فاعله.

(١٤) ورد في البقرة ٢: ١٠ قوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ قرىء يكذّبون من كذّبه الذي هو نقيض صدّقه.

(١٥) ورد في البقرة ٢: ١٤ ﴿وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾ قرأ أبو حنيفة: وإذا لاقوا.

(١٦) ورد في البقرة ٢: ١٥ ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ قرأ ابن كثير وابن محيص «ويمدّهم». وقرأ نافع واخوانهم «يمدّونهم». وقرأ زيد بن علي «في طغيانهم» بالكسر.

(١٧) ورد في البقرة ٢: ١٦ ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ فقرأ ابن أبي عبلة «تجاراتهم».

(١٨) ورد في البقرة ٢: ١٧ قوله ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾. فقرأ أبو عبلة «ضاءت». وقرأ اليماني «اذهب الله». وقرأ الحسن «ظلْمات» بسكون اللام. وقرأ اليماني «في ظلمة»

عيسة 120 صفحة من 340

بالمفرد.

(١٩) ورد في البقرة ٢: ١٩ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ﴾ فقرىء «صائب».

(٢٠) ورد في البقرة ٢: ٢٠ ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾، فقرأ مجاهد «يخطِف» بكسر الطاء، والفتح أفصح وأعلى. وعن أبي مسعود «يختطف». وعن الحسن «يخطف» وأصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء. وعن زيد بن علي يخطف من خطف. وعن أبيّ يتخطف من قوله و«يتخطف الناس من حولهم». وقوله «فلما أضاء لهم» قريء «ضاء». وقوله «وأظلم» فقرأ يزيد بن قطيب «أظلم» على ما لم يُسمَّ فاعله. وقوله «لذهب بسمعهم وأبصارهم» فقرأ ابن أبي عبلة «لأذهب بأسماعهم» بزيادة الباء.

(٢١) ورد في البقرة ٢: ٢١ ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ فقرأ أبو السميفع «وخلق من قبلكم». وفي قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم . قال علماء المسلمين وهي قراءة مشكلة، ووجهها على أشكالها أن يقال أقحم الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيدًا.

(٢٢) ورد في البقرة ٢: ٢٢ ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ فأخرج به «من الثمرات» فقرأ يزيد الشامي «بساطًا». وقرأ طلحة «مهادًا». وقرأ محمد بن السميفع «من الثمرة» على التوحيد.

(٢٣) ورد في البقرة ٢: ٢٢ أيضًا قوله ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلهِ أَندَادًا﴾ فقرأ محمد بن السميفع «فلا تجعلوالله ندًا» بالمفرد.

(٢٤) ورد في البقرة ٢: ٢٣ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ فقرىء على «عبادنا» والمراد محمد وأمته.

(٢٥) ورد في البقرة ٢: ٢٤ قوله ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ فقرأ عبد الله «اعتدت» من العتاد بمعنى العدة.

(٢٦) ورد في البقرة ٢: ٢٥ ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾ فقرأ زيد بن علي «وبُشر» على

عينة 120 صفحة من 340

لفظ المبني للمفعول عطفًا على أعدّت.

(٢٧) ورد في البقرة ٢: ٢٥ قوله ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ فقرأ زيد بن علي «مطهرات». وقرأ عبيد بن عمير «مطهرة» بمعنى متطهرة.

(٢٨) ورد في البقرة ٢: ٢٦ قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ فقرأ ابن كثير في رواية شبل «يستحي» بياء واحدة.

(٢٩) ورد في البقرة ٢: ٢٦ قوله ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا ٱلْفَاسِقِينَ﴾ وقرأ زيد بن علي «يضل به كثير». وكذلك «وما يضل به إلّا الفاسقون». وورد في البقرة ٢٨ ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فقرأ يعقوب «تَرجعون» بفتح التاء في جميع القرآن.

(٣٠) ورد في البقرة ٢: ٣٠ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فقرىء «خليقة» بالقاف. و«يسفك» الوارد في هذا العدد قرىء «يُسفك» بضم الفاء ويسفك ويسفك من أسفك وسفك.

(٣١) ورد في البقرة ٢: ٣١ ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ﴾ فقرىء «وعُلم آدم» على البناء للمفعول وقرأ عبد الله «عرضهن». وقرأ أبيّ «عرضها».

(٣٢) ورد في البقرة ٢: ٣٣ ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ﴾ فقرىء «أنبيهم» بقلب الهمزة ياء. وانْبِهِم بحذفها، والهاء مكسورة فيهما.

(٣٣) ورد في البقرة ٢: ٣٥ ﴿وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ فقرىء بكسر التاء، و«هذي» بالياء، والشِجرة بكسر الشين.

(٣٤) ورد في البقرة ٢: ٣٦ ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ فقرىء «فأزالهما». وقرأ عبد الله «فوسوس لهما الشيطان عنها».

(٣٥) ورد في البقرة ٢: ٣٨ ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فقرىء «هديّ» على لغة هذيل، «ولا خوفَ» بالفتح.

(٣٦) ورد في البقرة ٢: ٤٠ ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ

عينة 120 صفحة من 340

عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ فقرىء «إسرائل» بحذف الياء و«إسرال» بحذفهما و«إسراييل» بقلب الهمزة ياء. وقوله «اذكروا» قرىء «اذّكروا» والأصل «اذتكروا». وقوله «أوف» قرىء «أوفّ» بالتشديد.

(٣٧) ورد في البقرة ٢: ٤٢ قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ﴾ ولكن في مصحف ابن مسعود «وتكتمون».

(٣٨) ورد في البقرة ٢: ٤٦ ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ ففي مصحف عبد الله بن مسعود «يعلمون» عوضًا عن «يظنون».

(٣٩) ورد في البقرة ٢: ٤٨ ﴿وَٱتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ فقرىء «لا تجزىء» من أجزاء عنه إذا أغنى، وقرأ أبو السرار الغنوي «لا تجزي نسمة عن نسمة شيئًا». وقوله «ولا يقبل» قرأ ابن كثير وأبو عمرو «ولا تقبل» بالتاء.

(٤٠) ورد في البقرة ٢: ٤٩ قوله ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ فقرىء أنجيناكم ونجيتكم وأنجيتكم.

(٤١) ورد في البقرة ٢: ٤٩ ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ وقرأ الزهيري يذبحون بالتخفيف وقرأ ابن مسعود يقتلون.

(٤٢) ورد في البقرة ٢: ٥٠ ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ فقرىء «فرّقنا».

(٤٣) ورد في البقرة ٢: ٥١ ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى﴾ فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي «واعدنا.

(٤٤) ورد في البقرة ٢: ٥٥ ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ قرىء «جَهَرة» بفتح الهاء. وقوله «فأخذتكم الصاعقة» قرأ عليّ «فأخذتكم الصعقة».

(٤٥) ورد في البقرة ٢: ٥٨ ﴿حِطَّةٌ﴾ فقرىء «حطةً» بالنصب. وقوله «نغفر لكم» قرأ نافع بالياء وابن عامر بها على البناء للمفعول.

عينة 120 صفحة من 340

(١) فترى من هنا أنَّه لا تكاد تخلو لفظة من القرآن من قراءة، إما بتغيير حركة أو حرف أو كلمة أو جملة كما تقدَّم. ولا يخفى ما يترتب على هذه القراءات من الأحكام المختلفة المتباينة.

(٢) اقتصرنا في إيراد ٤٥ قراءة مختلفة في نحو ٥٥ آية فقط، وهي سُدس سورة البقرة.

(٣) ظهر مما تقدَّم أن الفاتحة أول كتابهم فيها الزيادة، فإن أجلَّاء أئمة المسلمين ذهبوا إلى أن البسملة ليست من القرآن بل هي زائدة، فتبلغ الزيادة الناشئة عن هذه العبارة وحدها نحو ١١٣ آية (كما قال ابن عباس الذي هو ترجمان القرآن). وكذلك أجمع العلماء على أن لفظة آمين زائدة. وغير ذلك مما ورد في الفاتحة من التغيير والتبديل وهو معدود من القراءات عند المسلمين.

(٤) لو أتينا بالمدرج في القرآن لكان شيئًا جسيمًا، فإن المسلمين زادوا في القرآن شيئًا على كتابهم على وجه التفسير، كقراءة سعد بن أبي وقاص «وله أخ وأخت من أم». والأصل «وله أخ أو أخت» (النساء ٤: ١٢). ومن ذلك أيضًا قراءة ابن عبَّاس «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج» أخرجها البخاري. ولا يخفى أنَّ الأصل هو بدون كلمة «في مواسم الحج» فهي زائدة (البقرة ٢: ١٩٨). ومن ذلك أيضًا قراءة ابن الزبير «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم» وهي في (آل عمران ٣: ١٠٤) «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون». فزادوا قوله «ويستعينون بالله على ما أصابهم». قال عمرو: «فما أدري أكانت قراءة، أم فَسَّر». وأخرج الحسن أنه كان يقرأ «وإن منكم إلَّا واردها» (مريم ١٩: ٧١). الورود الدخول. قال الأنباري: «قوله الورود الدخول تفسير من الحسن لمعنى الورود. وغلط فيه بعض الرواة فأدخلوه

عينة 120 صفحة من 340

في القرآن». قال ابن الجزري في آخر كلامه: «وربما كانوا يدخلون التفسير في القراءات إيضاحًا وبيانًا». وذهب بعضهم إلى أن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى، وأفرد السيوطي للمدرج تأليفًا، وقِس على ذلك أحاديثهم.

(٥) لعلَّ أصل هذه الاختلافات ناتج عن طريقة الكتابة نفسها، فقد كانت المصاحف تُكتب دون تنقيط أو تشكيل، فكلمة «أشاء» يمكن نطقها «أساء». أو «تبينوا» «تثبتوا». ولعل الاختلاف أحيانًا يغيّر الكلمة إلى العكس، مثل «غُلبت الروم» يمكن نطقها «غَلبت الروم». ولا يخفى أن مثل هذه الاختلافات تقع في أكثر من نصف القرآن، مما يؤدي إلى عدم التأكُّد من مدلولات الكلمة، لاحتمال وقوع الخطأ فيها.

(٦) جمع الحجاج بن يوسف كل مصحف وأسقط منه أشياء كثيرة ذكروا منها في كتاب «المصاحف» للساجستاني، و«الموسوعة القرآنية» لإبراهيم الإبياري الجزء الأول، و«الفرقان» لابن الخطيب، و«الخلافة الإسلامية» للمستشار محمد سعيد العشماوي:

أ - «لم يتسن وانظر» البقرة ٢: ٢٥٩ جعلها «لم يتسنه» بالهاء.

ب - «شريعة ومنهاجًا» المائدة ٥: ٤٨ جعلها «شرعة ومنهاجًا».

ج - «هو الذي ينُشركم» يونس ١٠: ٢٢ جعلها «يسيركم».

د - «أنا آتيكم بتأويله» يوسف ١٢: ٤٥ جعلها «أنا أنبئكم بتأويله».

هـ - «سيقولون لله» المؤمنون ٢٣: ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ جعلها «سيقولون الله الله».

و - «من المخرجين» الشعراء ٢٦: ١١٦ جعلها «من المرجومين».

ز - «من المرجومين» الشعراء ٢٦: ١٦٧ جعلها «من المخْرجين».

ح - «نحن قسمنا بينهم معايشهم» الزخرف ٤٣: ٣٢ جعلها «معيشتهم».

ط - «من ماء غير ياسن» محمد ٤٧: ١٥ جعلها «غير آسن».

ي - «فالذين آمنوا منكم واتقوا» الحديد ٥٧: ٧ جعلها «وانفقوا».

بقية 120 صفحة من 340

ك - «وما هو على الغيب بظنين» التكوير ٨١: ٢٤ جعلها «بضنين». والحجاج كان يتقرب إلى بني أميَّة، ولا يجوز ائتمانه على هذا العمل، فزاد وأنقص حسب هواه!

عزيزي القارئ؛ فهذا هو حال كتابهم وأحاديثهم التي بنوا عليها أحكامهم، والكتب المقدَّسة أي التوراة والإنجيل هي منزَّهة عن ذلك، وأنت تعرف أنَّ الأعين واقفة بالمرصاد لكل من زاد أو أنقص حرفًا واحدًا. فإنَّهم أحرص الناس على كتابهم، ولولا حرصهم الزائد هذا لما بقي مدة ألوف من السنين على صحته وسلامته. ففي وقت الاضطهادات التي قاساها المسيحيون كان كتابهم معهم في مغاراتهم يتعبَّدون به أنَّاء الليل وأطراف النهار. فكان معهم في ذهابهم ورجوعهم، وفي سفرهم برًا وبحرًا، وفي معابدهم ومساكنهم وبهذه الواسطة حفظه الله سالمًا من شوائب التحريف والتبديل، ولما أتى محمد أخذ ما أخذه منه وخلط وخبط وحضَّ على التمسك به.

ومن الأدلة الباهرة على سلامة الكتب المقدَّسة من شوائب التحريف هو أنَّ العلماء المحققين المشهورين بحرِّية البحث والتدقيق قابلوا نحو ستمائة وسبعين نسخة من الأناجيل فرأوها بعد المراجعة والمقابلة مطابقة لبعضها بعضًا، وهذه النسخ كُتِبَت في ممالك شتى وفي أزمنة مختلفة. فكتبت من الجيل الثالث إلى ما شاء الله، ووجدت في بلاد قاصية وممالك شاسعة منفصلة عن بعضها بالبحار والجبال، فوجدت في أسيا وفي أفريقيا وفي أنحاء أوروبا، وكانت النُّسخ مكتوبة بلغات شتى. وبصرف النظر عن ذلك قد أقمنا البرهان على أنَّه يمكن جمع الكتب المقدَّسة من استشهادات الآباء التي استشهدوا بها في مؤلَّفاتهم بالتمام والكمال، بل وضع الأقدمون تفاسير عليها فوضع أوريجانوس الذي كان في الجيل الثالث وكرسوستوم

عينة 120 صفحة من 340

الذي كان في الجيل الرابع تفاسير على الكتب الإلهية مما يدل على رفعة منزلتها وعلى تداولها بين المسيحيين الأولين.

ولا شك أنَّ البشائر الأربعة الموجودة عندنا الآن كانت متداولة بين المسيحيين في سوريا والإسكندرية وروما وقرطاجنة واسطنبول وموسكو وفي الشرق والغرب، وإذا قيل إنَّ المسيحيين الأوائل فعلوا كما فعل عثمان الذي أحرق جميع نسخ القرآن وألَّف نسخة من النُّسخ التي كانت متداولة في عصره وأرسل أربع نسخ منها إلى البلاد الاسلامية. قلنا لم يكن للمسيحيين الأوائل رئيس يمتثلون أمره وينتهون عن زجره بحيث إذا قال قولاً أذعنوا لحكمة كما كان يفعل عثمان، ولم تكن الأسباب متوفرة لاجتماعهم حتى كانوا يتواطؤون على أمر ما! نعم أنَّهم عقدوا مجمعًا ولكن كان ذلك في سنة ٣٢٠م وكانت الديانة المسيحية منتشرة في أنحاء الدنيا وكان المسيحيون يقاسون الاضطهاد والعذاب العظيم. وكان يتعذر عليهم الاجتماع مع بعضهم بعضًا لتعذر المواصلات هذا فضلاً عن اختلاف لغاتهم. فكانت لغة البعض يونانية ولغة غيرهم لاتينية ولغات الآخرين عربية وعبرية وغيرها من لغات الشرق، وزد على هذا تباين ثقافتهم ومذاهبهم.

إنَّ المسيحيين كانوا يعتبرون كتبهم المقدَّسة اعتبارًا دينيًا فكانوا يعتقدون وما زالوا يعتقدون بأن كتابهم هو وحي الحكيم العليم الواجب سماع قوله وأمره والانتهاء عن زجره. وقد حضَّهم الله على المحافظة على هذه الكتب حتى على صورة التعليم كما قال الرسول يعني يحافظون على صورة ألفاظ التعليم، فهل يتصور أن يخالفوا أمر خالقهم مع أنَّه لا يعود عليهم من ذلك أدنى فائدة ولا عائدة؟ لا يظنُّ عاقل ذلك فثبت إذن من هذه الملحوظات أن الكتب المقدَّسة بقيت على حالها منزَّهة عن شوائب التحريف، وأنَّ التوراة والإنجيل المتداولة بين المسيحيين هي وحي الحكيم العليم بالبينات والنبوَّات والمعجزات، ولم يوفَّق القرآن ولا غيره من أي

يتبقى 120 صفحة من 340

كتاب كان في الدنيا لمثل هذه الأدلَّة التي وُفِّق لها الكتاب المقدَّس ودلَّت على سلامته وصحته وقد بقى نحو ألوف من السنين وعليه الحراس والحفاظ والمتعبدون بتلاوته.

ونختم كلامنا قائلين: إنَّ المتعين على كل واحد تحت البسيطة أن يطالع هذه الكتب بجد وعزم، فإنَّها كتب رب العالمين الذي يريد أن الجميع إلى الخلاص يُقبِلون وبنعمة الفداء العجيب يتمتعون.

﴿تم الجزء الثالث وإن شاء الله يليه الجزء الرابع﴾

عينة 120 صفحة من 340

من إصداراتنا

أولاً: فحص الإسلام

الكتاب	المؤلف
سلسلة الهداية القديمة:	ميخائيل عبد السيِّد
سلسلة الهداية: الجزء الأول	ميخائيل عبد السيِّد
سلسلة الهداية: الجزء الثاني	ميخائيل عبد السيِّد
سلسلة الهداية: الجزء الثالث	ميخائيل عبد السيِّد
سلسلة الهداية الجزء الرابع	ميخائيل عبد السيِّد
سلسلة الهداية الجزء الخامس (تعليقات على الإسلام)	كريس أندرو
تنوير الأفهام في مصادر الإسلام	سنكلير تسدل
الإنجيل يسأل القرآن	منيس عبد النور
الكتاب المقدس وتحقيق نبوَّاته	ألكساندر كيث
المناطق المحظورة في القرآن والسيرة	سمسم عبد الفادي
منار الحق	
شبهاتٌ وهمية حول العهد القديم	نسخة أصلية غير مخففة
شبهاتٌ وهمية حول العهد الجديد	نسخة أصلية غير مخففة
مقالة في الإسلام (تحت الإعداد)	جرجس سال
علم الأعلام في حقيقة الإسلام (تحت الإعداد)	مجهول
الكتاب المقدس والقرآن (محاولة توفيق ميؤوس منها)	مسكويني الطرابلسي
المسيح هو الرجاء الوحيد لعالمنا	كريس أندرو
أسرار وحقائق عن الإسلام	كريس أندرو

عينة 120 صفحة من 340

جاري العمل على إصدار طبعة حديثة للهداية أكثر تنظيماً

ثانيًا: الدراسات الكتابية والتفاسير

الكتاب	إعداد
سلسلة المرشد إلى الكتاب المقدس	أسامة خليل أندراوس
الجزء الأول: وصفٌ عام للكتاب المقدَّس	أسامة خليل أندراوس
الجزء الثاني: مقدمات العهد القديم	أسامة خليل أندراوس
الجزء الثالث: مقدمات العهد الجديد	أسامة خليل أندراوس
الجزء الرابع: أضواء على بعض الموضوعات	أسامة خليل أندراوس
الجزء الخامس: خط الزمن	أسامة خليل أندراوس
لوحة الخط الزمني للكتاب وتاريخ الكنيسة	أسامة خليل أندراوس
ملحق السلسلة «لوحة ملونة» (١٠٠ سم × ١٢٢ سم)	أسامة خليل أندراوس
An Introduction To The Old Testament	Chris H. Andrew
An Introduction To The New Testament	Chris H. Andrew
سلسلة قصص الكتاب المقدس	لبيب مشرقي
١ - أسفار موسى الخمسة	لبيب مشرقي
٢ - الأنبياء	لبيب مشرقي
حديث مع مارتن لوثر	لبيب مشرقي
اتفاق البشيرين (تحت الإعداد)	سمعان كلهون
False Aligations Against The New Testament	Servants of the Lord

عينة 120 صفحة من 340

Servants of the Lord	False Aligations Against The Old Testament
Awad Sam'an	The Necessity Of The Atonement Of Christ. (The Philosophy Of Forgiveness In Christianity, part 1)
Awad Sam'an	How Do We Benefit From The Atonement Of Christ? (The Philosophy Of Forgiveness In Christianity, part 2)

عينة 120 صفحة من 340